وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كليـــة التربيـــة
قسـم اللغـة العربيـة

الصورة الشعرية في شعر ابن القيسراني

بحث مقدم من قِبَلْ

م . د : إسراء خليل فياض

١٤٣٠هـ

٢٠٠٩ م

المقدمـــــه

كثيرة هي الدراسات التي درست شعر القرن السادس الهجري ، ووقفت عند شعرائه وقفه موجزة او مفصلة لما أمتاز به هذا القرن من خصائص فنية وموضوعية متميزة.

ويُعد ابن القيسراني واحداً من شعراء هذا القرن الذي لم يأخذ حظه الوافر من الدراسة على الرغم مما امتاز به من صفات موضوعية وفنية متميزة، فكل المصادر التي ذكرته - ومنها المصدر الذي جمع شعره محققاً اشارت اليه اشارة سريعة إذ كانت وقفات موجزه وعامة عند بعض المزايا الموضوعية والفنية.

لذا أرتئيت ان أدرس الصورة الشعرية عند ابن القيسراني لما امتاز به من إبداع شعري متميز، وأنا في دراستي هذه أبتعدت عن النمط المعتاد في معالجة الصورة الشعرية، وفقاً لوسائل التشكيل البلاغية ،بل درسناها وفقاً لمصادر تكوينها ، وجاء البحث بمحورين : المحور الاول تحت عنوان)حياة الشاعر (تناولنا فيه حياة الشاعر وسيرته لمالها من أثر كبير في صياغة صوره الشعرية المنبثقة من خياله الخصب المتشبع بالمؤثرات البيئية.

أما المحور الثاني فجاء بعنوان) مصادر الصورة الشعرية في شعر ابن القيسراني(، وقسم على ثلاثة أقسام:

جاء الأول بعنوان) فاعلية الطبيعة في التشكيل الصوري في شعر ابن القيسراني (

وقسم هذا القسم على نوعين : جاء الأول بعنوان) ثنائية الماء واللون (وجاء الثاني بعنوان) عناصر الطبيعة الاخرى. (

وجاء القسم الثاني بعنوان) فاعلية الاقتباس والتضمين في تشكيل الصورة الشعرية في شعر ابن القيسراني(

اما القسم الثالث فجاء بعنوان) أثر الحروب الصليبية في الابداع التصويري في شعر إبن القيسراني.(

وانطلقت من تلك المسميات لمعالجة الموضوع معالجة تحليلية فنية و وقفت خلالها على الوسائل والتراكيب البلاغية والجوانب الفنية المختلفة التي اسهمت في نسج الصورة الشعرية نسجاً أسلوبياً محكماً، إذ وقفنا ازاء النصوص الشعرية ومافيها من تصوير شعري بالتحليل المستفيض.

وختاماً نرجو ان نكون قد وفقنا في بحثنا هذا ، ونسأل الله التوفيق والسُداد.

المحـــور الاول

حياة الشاعر

ابن القيسراني ، هو أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف بالقيسراني ، وبابن القيسراني ، الملقب شرف الدين ، وشرف المعالي ومهذب الدين (1).

ولد ابن القيسراني في مدينة عكا على الساحل الفلسطيني الشمالي ، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة478) هـ(2) (، . ثم أنتقل مع أسرتهِ الى مدينة قيسارية الساحلية ، والقيسارية بلد على ساحل بحر الشام ، وهي مدينة ساحلية واسعة وكثيرة الخيرات . (3) فنشأ بها وغلبت نسبته إليها فَعُرِفَ بابن القيسراني (4) .

(1)ينظر : الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، تحقيق وأعتناء أحمد الارناؤوط ، وتركي مصطفى ، ط 1، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،2000 م 76/ 5 : ، وينظر : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت 458 / 4 : ،وينظر : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، تصنيف العلامة شمس الدين أبي المطفر يوسف بن قزاوغلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزي ، ط 1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، 1951 م : ج / 8ق 213/ 1، وينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبن تغري بردي ، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 302 / 5 : 1935 ، وينظر : خريدة القصر وجريدة العصر ، لعماد الدين محمد بن حامد الاصفهاني الكاتب ، تحقيق د . شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، 1955 م ، قسم شعراء الشام 1/96 : ، وينظر : معجم الادباء ، لياقوت الحموي ، مراجعة وزارة المعارف العمومية ، ط الاخيرة ، مطبوعات دار المأمون ، سلسلة الموسوعات العربية64 / 19 :

2)ينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 302 / 5 : ، وينظر : خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء الشام96/ 1:

(3)ينظر : معجم البلدان ، لشهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) ت626 هـ (، طبعة جديدة مصححة ومنقحة قدم لها : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، مج / 4 ج. 107 / 7

(4)ينظر : خريدة القصر وجريدة العصر 96 / 1 : ، وينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 302/ 5:

ذهب إبن القيسراني الى دمشق حين استولى الافرنج على مدينة قيسارية سنة 494هـ، وعمل فيها حتى سنة 527 هـ ، وبعد ذلك توجه الى حلب وكان ذلك في عهد عماد الدين زنكي في 527) هـ 529 - هـ (، وتولى فيها خزانة الكتب ، وفي اثناء ذلك تجول في مدن عديدة كالموصل ، وانطاكية ، ثم عاد الى دمشق سنة547 هـ وتوفي فيها إثر حمى حادة يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة 548 هـ ، ودُفِن فيها (1).

أما عن ثقافة الشاعر والتي يجب ان نقف عندها كونها مصدراً حيوياً وفاعلاً في إثراء مخيلتهِ التصويرية ، وابداعهِ في رسم صوره الشعرية ، فنقول أن لأبن القيسراني عددأمن الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ، واخذ عنهم الادب والعلم ، ومنهم : توفيق بن محمد الذي قرأ عليه الادب وعلوم الحكماء في تسيير النجوم ، وابن الخياط الذي صحبه إبن القيسراني وروى عنه شعره ، وبذلك نجد ان إبن القيسراني موسوعة شاملة في الادب واللغة والنحو ، وقول الشعر ، والحساب والهندسة ، والتاريخ والتنجيم ، وعلوم الدين ،ومايتصل بالقرآن والفقه والحديث (2).

(1)ينظر : شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب للمؤرخ الفقيه أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان ، 150 / 4 ، وينظر : سير أعلام النبلاء وبهامشهِ أحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشمس الدين الذهبي ، طبعة جديدة ومنقحة اعتنى بها محمد بن عبادي بن عبد الحليم ، ط 1، مكتبة الصفا ، القاهرة ، مطبعة دار البيان الحديثة ، 2003 م ، توزيع مكتبة سلام الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 121 / 12 ، وينظر : العبر في خبر مَنْ غَبَرْ ، لمؤرخ الاسلام شمس الدين الحافظ الذهبي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة الكويت ، 1963 م ، سلسلة التراث العربي ، تصدرها وزارة الارشاد والانباء في الكويت 133 / 4 : ، وينظر : خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء الشام 96 / 1 :

(2)ينظر : معجم الادباء 64 / 19 : ، وينظر : مرآة الزمان في تاريخ الاعيان : ج / 8 ق 213 / 1، وينظر : وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان 458 / 4 : ، وينظر : العبر في خبر مَنْ غَبَرْ 133 / 4 : ، وينظر : الوافي بالوفيات 76 / 5 : ، وينظر : سير أعلام النبلاء . 121 / 12 :

فضلاً عن معرفتهِ بشؤون الحرب والاسلحة ، بحكم البيئة التي عاش فيها ، وذلك مايتضح جلياً في قصائدهِ المدحية الحماسية ، فضلاً عن الأغراض الشعرية الاخرى.

أن الفترة الزمنية والبيئة المكانية التي عاش فيها إبن القيسراني ألقت بظلالها على شعرهِ وصورهِ الشعرية ، فقد كانت حياتهُ مشهداً واقعياً للحروب الصليبية والحملات العسكرية ، لقد استوحى إبن القيسراني الكثير من صورهِ من البيئة المحيطة به ، فبرزت قدرته التصويرية في توليد المعاني الجديدة والمبتكرة.

ان الشاعر إبن بيئتهِ ينتزع منها مايريد ويختزنه في خيالهِ ، ثم يوظف ذلك الخيال في تصويره الشعري ، فالقرآن الكريم ، والثقافة الدينية والتأريخية ، والبيئة الجغرافية ، بمافيها من سواحل وطبيعة ، والاحداث الحربية ، والحروب الصليبية ، والثقافة العلمية والادبية ، واللغوية وعلم التنجيم ، والحساب والهندسة ،كل ذلك مصادر حيوية وفاعلة وظفها الشاعر في صياغة صوره الشعرية ، فضلاً عن طاقاته الشعرية وموهبته وذكائهِ الوقاد ، وقد تتداخل تلك المصادر أحياناً في تشكيل الصورة الشعرية ، ويبقى للباحث ذوقه النقدي في أختيار النص الشعري التي تجسدت فيه الصورة الشعرية المنبثقة من هذا المصدر اوذلك المصدر بشكل فاعل دون الآخر.

وآثرنا أن نعتمد في دراستنا ثلاثة مصادر كان لها الاثر الفاعل في تشكيل صورهِ الشعريةِ ، وهي الطبيعة ، والموروث الديني والتأريخي ، والبيئةالحربية وسوف ننطلق من هذهِ المرتكزات في أنتقاء النصوص الشعرية التصويرية وتحليلها.

المحور الثاني

مصادر الصورة الشعرية في شعر ابن القيسراني

قبل أن نتحدث عن مصادر الصورة الشعرية في شعر إبن القيسراني وننطلق منها في انتقاء النصوص وتحليلها لابد لنا من الوقوف قليلاً عند مصطلح الصورة الشعرية . إذ تعد الصورة الشعرية من المرتكزات الفنية الاساسية للأبداع الشعري فهي خيال الشاعر ، وهي خوالج الفكر المبدع ، بل هي البصمات الفنية التي يتركها الشاعر على قصيدتهِ ليكسبها الجمالية والأبداع ،)) فهي رسم قوامه الكلمات. (1)((

والشاعر يعتمد على مصادر عديدة في صياغة صوره الشعرية ، منها الموروث الديني والتأريخي ، فضلاً عن البيئة التي يعيش فيها، والطبيعة بعناصرها المختلفة وجزئياتها المتعددة ، وتكون وسائل التشكيل البلاغي من تشبيه ، واستعارة ، وكناية ، وتضاد ، وغيرها وسائل فاعلة في صياغة الصور الشعرية. ونبدأ حديثنا عن الطبيعة كونها اهم مصدر اعتمده إبن القيسراني في تشكيل صوره

1-فاعلية الطبيعة في التشكيل الصوري في شعر ابن القيسراني

تُعد الطبيعة بعناصرها المختلفة المصدر الحيوي الذي نهل منه الشاعر في صياغة معانيه وصورهِ البارعة، ولاشك ان الطبيعة الجغرافية الجميلة،والمناخ الساحلي الباهر لها الاثر الكبير في ذلك ، إذ فتح الشاعر عينيه على تلك الطبيعة الخصبة الزاهرة بحيويتها،ولفت نظرنا اهتمام الشاعر بثنائية) الماء واللون (فتلك الثنائية بعناصرها المختلفة لها الحضور الكبير والفاعل ، فالماء بأشكاله المختلفة ومشتقاته المتنوعه، واللون بعناصرهِ المختلفة ينفصلان أحياناً لتكون الصور أما مائية او لونية، ويتحدان احياناً لتتشكل صورا يمكن ان نطلق عليها مصطلح) الصور اللونمائية(، لذا آثرنا ان نتحدث عن ثنائية الماء واللون أولاً وبشكل مستقل ، ومن ثم نتحدث عن عناصر الطبيعة الاخرى وبشكلٍ مستقل أيضاً ، فسيكون اذن حديثاً عن مصادرالطبيعة في صور إبن القيسراني ضمن مجموعتين .

(1)**الصورة الشعرية سي ، دي لويس ، ترجمة د .أحمد نصيف الجنابي ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ،**1982 **م** 21 :

أ -ثنائية الماء واللون:

كان لهذهِ الثنائية الحضور الكبير في صور إبن القيسراني إذ تُعد هذهِ الثنائية المصدر الأساس والرئيس الذي نهل منه إبن القيسراني في إبداعه التصويري ، إذ كان خياله مُشبعاً بساحل قيسارية وبنهر الشام والابداع اللوني والتشكلات اللونية المنبثقة من تلك الطبيعة المائية ، فمن الصور اللونية البارعة قوله في وصف جمال العيون (1) .

في لقاء ِ البيض ِ والسُّمرِ مُنىً دوُنَها
للبْيض ِ والسُّمْرِ لِقاءُ

فهو يستفيد هنا من التماثل اللوني في توليد الصور اللونية الشعرية وتحقيق صورة كنائية ذات دلالة لونية ، فالتماثل اللوني واللفظي في هذا البيت يحقق معنيين بدلالتين شعريتين)فالبيضُ والسُّمْرُ (، في الشطر الاول يُراد بهما العيون ومافيها من بياض وسواد ، و)البيضُ والسمُر (في الشطر الثاني يريد بهما السيوف والرماح ، وبأجتماع تلك الكنايتين اللونيتين رسم لنا صورة تشبيهية تفضى الى مفارقة دلالية فضلاً عن التناغم التكراري الذي اسهم في أثراء المعنى ، أذ أسهم هذا التناغم الصوتي والتصويري في اقتران الممكن وغير الممكن ،) فالبيض والسُمر (في الشطرالاول لقاؤهما مُنىً ، في حين كان اجتماعهما في ساحة الوغى، اجتماعا دائما، وفي اجتماع تلك الصورتين) غير الممكن ، والممكن (نلمس جمالية فنية تفضي الى دلالات الفتك والنيل من العاشق والميتم ، فيكون وقعها عليه وقع السيوف والرماح.

وتفضي به تلك الالوان احياناً الى صورة شعرية تحمل في أعماقها مفارقة دلالية تحقق صورة لونمائية ، ومن ذلك قوله (2)

يا نديمي وكأسي وَجْنَـــــــةٌ
ضَرَّجَتْها بالعُيــونِ النُدماءُ

لاتظنا الوردَ مايَسقي الحيا
إنما الوردُ الذي يسقي الحَياءُ

(1)شعر ابن القيسراني ، جمع وتحقيق ودراسة ، الدكتور عادل جابر صالح محمد ، ط 1، الوكالة العربية للنشر والتوزيع ، الاردن ، 1991م 52:

(2)م.ن 52:

أستطاع الشاعر في البيت الثاني وبأسلوب شعري، ان ينسج صورة لونمائية تقوم على مفارقة نصية، ودلالة شعرية ضدية، تحقق خرقاً دلالياً يفضي الى ابداع صوري، فضلاً عن ذلك فان الجناس بين لفظتي) الحيا والحياء (حقق ذلك الابداع الصوري اللوني الذي جسد جمال الحبيبة وخفرها في صورة تشبيهية إذ شبه خدود الحبيبة بالورد ، ولكن يسقيه الحياء خجلاً ليفضي الى احمرار الوجنات الذي يُشابه لون الورد إذاشتق من اللون الاحمر الدلالات الصورية لُيحقق التماثل اللوني بين لون الورد ، ولون الوجه ، ولكي يحقق التماثل اللوني غير المُنفصل عمد الى تفصيلات وجزئيات الصورة الشعرية ، فالورد لايكوُنَ أحمراً إلاّبالحيا) أي المطر (والوجنات لاتكُنْ حمراء إلاّ) بالخجل (وبذلك أصبح التقارب الجزئي بين الدلالتين تقارباً حتمياً مما أدى إلى الابداع التصويري.

ويُفيد أبن القيسراني من الدلالة الزمنية) للصباح والمساء (وماينضويان عليه من دلالة لونية ضدية تفضي الى أبعاد دلالية، ومن ذلك قوله في وصف شجاعة الممدوح وبسالته في غمرات الحرب وساحات الوغى، إذ يقول (1) :

غَمَراتٌ حَجَبَتْ وجهَ العُلى فكأَنَّ الصُّبْحَ في الأُفْقِ مســـــاءُ

فهو يوظف الوسائل البلاغية من تشبيه وتضاد في هذا البيت ليحقق دلالة كنائية لونية تجسد غُبار المعركة فضلاً عن دلالتها المجازية التي تُبدل صباح العدو مساءً مُرعباً مُغبراً، إذ أن صولات الممدوح حولت أُفق الاعداء الى ليل سرمدي حالك الظلام، ومن الصور اللونية قوله موظفاً الاستعارة المكنية توظيفاً تجسيمياً وهو يمدح ممدوحه (2)

ألبَسَ الدَّينَ ضياءً ساطعاً فعلى الأسلامِ مِن ذاكَ بهاءُ

ويكرر مثل تلك الصورة اللونية التي تدل على البريق واللمعان بقوله في القصيدة نفسها ، وهو يفخر بشاعريته(3):

(1)شعر أبن القيسراني 53 :

(2)م . ن 53:

(3)م. ن 54:

فَتقلَدْ مِن ثنائي أنجُمـــــــــاً تحسدُ الارضَ عليهُنَّ السماءُ

فبتلك الاستعارة المكنية حقق بُعداً تشخيصياً لكلمات شعرهِ التي يتقلدها ويلبسها الممدوح وهي نجوم أشد بريقاً من نجوم السماء.

ومن الصور التي اعتمد فيها إبن القيسراني عنصر الماء قوله في وصف الخمرة (1):

بكرٌعلى قَرْع المَزاج تَبرَّجَتْ في الكأسِ فهي قريعـــةٌ عَذراءُ

نَارٌ يزيدُ الماءُ في إيقادِهـــــــــا أرأيـــتَ
ناراً يزدَهيها الماءُ

إذ إعتمد هنا على العنصر المائي في التشكيل الصوري اللوني ، فضلاً عن الابداع الدلالي للتضاد بين لفظتي) النار (و)الماء (لُيحقق من ذلك التضاد تماثلا ً ضدياً يحقق كسراً لأفق التوقع، فالماء يزدهي النار ويجعلها اكثر اصفراراً ولمعاناً وبريقاً ، ويريد من ذلك التضاد التصويري والمفارقة الدلالية تحقيق صورة استعارية تشخيصية للخمرة التي تشبه النار في لمعانها وبريقها الاصفر ، وهذه الصورة الشعرية صورة لونمائية بديعة.

والشاعر مبدع ومبتكر لمثل تلك الصور التي تعتمد على التكوين المائي واللوني الممتزج بمخيلة الشاعر ، ومن ذلك قوله في الشيب (2) :

نافَرَتْهُ البيضاءُ في البيضـــــــاءِ وأنفصالُ
الشَّبابِ فَضْلُ القَضاءِ

حاكَمتْـــــــهُ إلى مُعاتبة ِ الشيـــــــ
ـــــــب ِ لتَسْتَمْطِرَ الحَيا بالحَياءِ

فأسْتَهَلَتْ لِبَيْنِها سُحْبُ عَيْنَيْـ
ـــــــهِ ، ويوم النوى مـــــــن الأَنْواءِ

(1)شعر إبن القيسراني 55 :

(2)م . ن58:

إنهُ يوظف الصور اللونمائية في معانٍ ودلالات شتى ويضعها في سياقات مجازية طريفة ، فهو في هذه اللوحة يوظف البياض أي اللون الابيض لينسج من تكراره صورتين شعريتين كنائيتين للون الابيض ، ذلك المشترك اللوني بين الدالتين لون الحبيبة ، ولون الشيب ، لون الحبيبة التي تنافر لون الشيب وتمقته رغم مماثلته للونها ، فأبن القيسراني كثيراً مايعمد الى نسج صور تحقق التماثل الضدي اواجتماع الاضداد وفق سياق واحد يحقق بعداً شعرياً فاعلاً ، ثم ينتقل بعد ذلك الى توظيف الدلالة المائية في سياق مجازي ومن خلال المجانسة اللفظية بين) الحيا (و)الحياء (، ومن خلال الصورة التشخيصية التي حققتها الاستعارة المكنية في قوله) معاتبة الشيب (إذ نراه يفُصل في الصورة الشعرية المستخرجة من الثروة المائية الطبيعية ، اذ يقول موظفاً الصورة الاستعارية) سحب عينيه (ثم يختم هذه الصورة الشعرية بجناس لفظي وتماثل لفظي صوتي يحقق سياقاً تصويرياً قائماً على الفعل ورد الفعل ، فالنوى يقود إلى الانواء ، ويوم النوى يوم أنواء من الدموع الهاطلة كالمطر.

بل قد يفصل في صورة المطر التي استحوذت على صوره المائية ، فلم يقتصر على لفظة)الحيا (، بل يوظف الالفاظ الاخرى التي تدل على المطر الشديد كـ) الوبل (و) هطال (، ليُحقق بُعداً شعرياً وصورة فاعلة تنسجم وسياق المعنى المقول ويتجسد ذلك بقوله في وصف المعركة التي يخوضها الممدوح ضد أعدائهِ (1) :

والنَّبْلُ كالوَبْلِ هَطَّالٌ وليسَ لَهُ سوى القِسي ِ وأيدٍ
فوقها سُحُبُ

فهو ينتقي مشبهاً به ينسجم مع المشبه صورةً ، فهو حاذقٌ في إنتقاء لفظة) الوبل (وهو المطر الشديد الضخم القطر كي يواءم بين حجم القطرات المطرية وحجم النبال عند إنطلاقها ، إذ ينسج صورة شعرية حركية تُجسد إرتشاق النَّبال وهطولها كالمطر الشديد ، لقد حقق بتلك الصورة التشبيهيه الحركية صورة شعرية بصرية سمعية في آنٍ واحد ، وليس هذا فحسب بل ينتقي الشاعر صيغة المبالغة) هَطّال (ويأتي بالاستعارة المتحققه في) سُحُب عينيه (ليحقق إبداعاً تصويرياً متميزاً .

(1)**شعر إبن القيسراني** 72 :

ويبدو أنه مولعٌ بصورة المطر ، إذ يوظفها في سياقات متنوعة ، فهو يوظف دلالة المطر في تجسيد كرم الممدوح وعطائه ، بل نراه يرمز الى صورة البرق الذي يبعث المطر رمزاً لونياً دلالياً ، إذ يقول موائماً بين السمة اللونية للسيف ولون البرق (1):

سيفٌ إذا إبْتَسَمَتْ مضارِبُ سَيفه
أيقَنْتَ أن البْرقَ ليسَ بِخُلَّب

فهو يحقق في هذه الصورة تشخيصاً صورياً لصورة السيف ، إذ يوظف الاستعارة المكنية التي تحقق تشخيصاً للسيف المبتسم ، وهو تبلك الاستعارة المكنية التشخيصية يحقق صورة الشجاعة بأدق جزئياتها ، ثم يحقق دلالة تلك الصورة وفق سياق تقريري في قولهِ) أيقنت أن البرقَ ليسَ بخُلَّبِ (الذي يدل دلالة فاعلة على الخير والانتصار ، فقد أسهمت الطاقة اللونية الكامنة في بريق السيف ولمعانهِ وبريق البرق ولمعانهِ في تجسيد ذلك الأثراء الدلالي الشعري.

وبذلك نرى أن الماء رمزٌ طوعي ٌ في يد الشاعر ، رمزٌ متعدد الدلالات ، يطوعه الشاعر وفقاً لرؤيته التصوريرية وخياله الخصب.

وهويشير الى تحقيق السُّقيا بصورة غزليه رقيقة إذ يقول(2) :

وكُنْتُ إذا عِفْتُ الزُّجاجةَ َ مَوْرِداً سقتني
رِضابـــــــاً في إنـــــــاءٍ مُوَرَّدِ

فهو يتوق الى سُقيا الحبيبة ويُشبه فمها بالأناء المُوَّرِد ، فهذا تشبيه جديدٌ ورائع ،إذ لم يكتف ِ بتشبيه الفم بالأناء ، بل افاض في رسم القوام اللوني لتلك الصورة التشبيهية المنبعث من لون الشفاه الوردية ، لينسج صورة شعرية لونمائية.

بل أن الصور المائية تتجاوز الامطار ، والرضاب ، والحيا ، والوبل ، الى البحار والانهار حين يرسم صورة الممدوح وعطائه الفياض في قوله (3) :

(1)شعر إبن القيسراني 95 :

(2)م . ن 182 :

(3)م.ن 20 :

وبَسطتَ بالأَموال ِ كفَّا طالمـــــا
طالتْ بها الآمالُ وهي قصارُ

وَجَرَتْ بأمداد ِ الجياد ِ شعابهُا جريَ
السيول ِ ، وماعَداك َقرارُ

وثنى الفرات ُ إلى يديك عِنانَـــــهُ والبحرُ
ما اتصَّلَتْ بـــه الأنهارُ

فهو يشبه عطاء الممدوح وإغداقهِ لأموالهِ بالسيول والبحار والانهار وينتقي الشاعر) نهر الفرات (المشهور بعذوبته وإتساعهِ ووفرة مياههِ ليَنسج صورة شعرية تعتمد الاستعارة

المكنية التشخيصية ، والتي تجعل من نهر الفرات حصاناً ودابة ً عنانُها ولِجامها بيد الممدوح بل هو مُتصل ٌ بالممدوح ، ثم يُكمل تلك الصورة بتوظيفه لأسلوب التشبيه الذي يجعل من الممدوح بحراً تتصل به الانهار ، فهو أصلُ لفروع عديدة، فالممدوح أصلُ والفرات فرعٌ ، ولاشك ان ذلك الابداع التصويري الفني حقق صورة شعرية تجسد معاني المدح والثناء.

وتتوالد الصور الشعرية في وصفه للخمرة ، فتتبلور الأَستدعاءات اللونية المنبثقة من انبثاق حُباب الماء فيها ، إذ يقول(1) :

ولَمـــا أرَدْنا مُتاحَ السُّرورِ خطبنا من
الماء ِ للخَمْر ِ صَهْـــــرا

فَزُفَّتْ عَروســـاً تُريك الحَبَا
بَ إن شِئْتَ عِقْداً وإن شِئْتَ ثَغرا

إذا المـــــــــاءُ أهْدى لَهُ لَوْنَهُ رأيْتَ
العَقيقَ وقـــــد حالَ دُرَّا

فهو يرسم صورة تشخيصية للخمرة ويوظف الاستعارة المكنية التي تصور الخمرة في صورة العروس وتجعل من الماء صهراً لها ، ثم يفصل في رسم جزيئات الصورة الشعرية رسماً لونياً متخذاً من التماثل اللوني بين العناصر المختلفة وسيلة في تجسيد التغير اللوني للخمرة في مجانستها للماء.

(1)**شعر إبن القيسراني** 222 :

ويستمر ذلك الامتزاج بين الطاقة اللونية والطاقة المائية في مخيلة الشاعر إذ يقول في وصف الشيب(1) .

ياهِنْدُ مَنْ لأخي غرام ٍ ، ماجرى بَرْقُ الثُّغورِ
لطرفه ِ إلاَّ جرى

أبْكَتْهُ شيْبَتُهُ ، وهـــــل مِنْ عارض ٍ شِمْتُ
البوارقَ فيهِ إلاّ أمطـــرا

لاتنكري وضحـــــــاً لبَسْتُ قَتيرَهُ ركضُ
الزمـــان أثارَ هذا العِثْيْرَا

فهو يوظف الاستعارة المكنية فضلاً عن التشبيه الضمني ليحقق الامتزاج اللونمائي ويثري الصورة الشعرية ، فهو يجعل من الفعل ورد الفعل صورة شعرية تجسد الابداع الشعري الكامن في مخيلة الشاعر فالشيب بلونهِ الابيض يستمطر العيون ويُهطل الدموع كالبارق الذي يظهر على السحاب فينهمل مطراً ، ويأتي في البيت الاخير لُيحقق بالأستعارة المكنية)ركض الزمان (صورة تجسيمية لونية حركية.

وقد يبدأ لوحاته الفنية ووصفه الشيب بصورة لونية يختمها بامتزاج طريف بين المطر والبرق مما يولد صورة مائية موشحة بألوان الطبيعة ، ويتجلى ذلك بقوله(2) :

أما الشّبابُ فَطَيفٌ زارني ومضى
لمـــــــا تَبلَّج صُبْحُ الشّيب ِ مُعْتَرِضَا

ما كان أبيضَ وجهَ الوَصْل ِ حين دَجَا وما أشَدّ
ظلام َ الهَجْر ِ حين أضّا

(1)شعر إبن القيسراني223 :

(2)م . ن277 :

إلى ان يقول في القصيدة نفسها(1) :

فأن تبُتْ سُحُبُ الأَجفان ِ هاميةً فَعَنْ سَنا
بارق ٍ في عارض ٍوَمضا

إنه يتعمق في تلك الرؤى الصورية، إذ يصور الشباب ويشخصه فهو طيف سرعان ماينتهي ويكسر بالواقع وهو الصباح الذي ليس كأي صباح فهو صباح الشيب ولطالما كانت الاطياف أحلى من الواقع المؤلم ، ويعود في البيت الثاني ويحقق صورة شعرية تقوم على

التبادل الوظيفي ، وخرق الدلالات المعرفية المتفق عليها ، فالصورة الشعرية هذه تقوم على المفارقة اللونية التي تجعل من الدُّجى بياضاً ومن الضوء ظلاماً وفقاً للرؤية الشعرية التي تتحقق بتلك الثنائية اللونية والتبادل اللوني الذي حقق أبعاد الصورة الشعرية ، فالنفس تألف بياض الصبح وتنفر ظلام الدُّجى ، ولكن الأمر يكون ضد ذلك حين يُشرق الشيب في دجى الشعر ، فيكون فجراً للهجر والظلام يَحِنُّ فيه الشاعر الى دجى الوصل الابيض.

ومن الصور الاخرى التي تصف الشيب والشباب ونفور الغيد من الشيب (2) :

فأستهَلَّتْ لِبَيْنِها سُحُبُ عَيْنيْـ ـهِ ، ويَومُ النَّوى مِنْ الأَنْواءِ

ياشباباً لَبِسْتَهُ صَافي الظـ ـل ، وتُبلى ملابسُ الأَفيْاءِ

كانَ بَرْدُ الدُّجى نسيماً وتَهوْيـ ـماً فأذكَتْهُ نفحَةٌ مِنْ ذُكاءٍ

ومن الصور اللونية البارعة قوله في وصف لون غبار المعركة ، أذ يقول (3) :

والنّقْعُ فوقَ صِقالِ البيض مُنْعَقِدُ كما إستَقَلَّ دُخانٌ تحتَهُ لَهَبُ

إنه ينتقي مشبهاً به يحقق تلك الصورة اللونية تحقيقاً شعرياً ودلالياً فاعلاً ، إذ أن لون النقع يشابه لون الدُّخان وكلاهما رد فعل لنار مؤججة ولكن نار النقع نار مجازية ونار الدخان نارٌ حقيقية ، وهو بتلك الصورة التشبيهية اللونية أضفى اللمحة الحماسية المتدفقة لتلك الحرب الضروس.

(1)**شعر إبن القيسراني**277 :

(2)م . ن 59 :

(3)م . ن71 :

ويأتي اللون بدلالاته المتعددة ليحقق نسقاً ضدياً بين ثنائيتي الليل والنهار ، إذ يقول في وصف شمائل الممدوح (1) :

ذو غُرَّةٍ ماسَمَتْ واللّيْلُ مُعْتَكِرٌ إلاّتَمَزَّقَ عن شمْس الضُّحى الحُجُبُ

فهو يأتي بالصورة اللونية التي تحمل دلالة ضدية لُيحقق كرم الممدوح وشمائِله ِ بصورة كنائية فالكناية في قوله) تمزق عن شمس الضُحى الحُجُبُ (اسهمت في اثراء الصورة الشعرية بدلالة لونية فاعلة .

وهو حين يصف رحلته الليلية الى ديار الممدوح يوظف الابداع اللوني في رسم الصورة الشعرية ، إذ يقول في وصف الأَبل ولونها في ظلام اللّيل البهيم(2) :

نواصِلَ من صِبْغِ الظَّلامِ كَما بَدا لعَيْنِكَ مِنْ تحتِ الخضَـــــــاب ِ مَشيبُ

ونراهُ تارة ً أخرى يبدع في جمع ثنائية الماء واللون في تشكيل صوري شعري يجسد شجاعة نور الدين زنكي وفتكه بالأعداء إذ يقول(3) :

غداة َ كأَنما العَاصي إحمراراً مِنَ الدَّم ِ عَبْرَةُ الجَفْنِ القريح ِ

فماء نهر العاصي انقلب َ أحمراً من دم القتلى ، وهو يأتي بمشبه به ينسجم مع تلك الصورة وسياق الموت الذي يبعث على البكاء حتى يقرح الجفن حزناً وشجناً وحرقة وهذا مايمثل الحالة الشعورية لذوي هؤلاء القتلى الذين تقرح أجفانهم حسرة وخسارة.

ويرسم بألوانه صوراً تشخيصية وتجسيمية قائمة على التضاد اللوني الذي يفضي الى دلالات لونية مجازية، ومن ذلك قوله في وصف شجاعة الممدوح وشدة بطشه في ساحة الوغى ، إذ يقول (4) :

تُقَطَّ ِبُ مِنكَ البيضُ و هي ضَواحِكٌ ويَفْتَرُّ عنك الخَطْبُ واليَومُ أربَدُ

(1)شعر إبن القيسراني71 :

(2)م . ن82 :

(3)م . ن 136 :

(4)م . ن 145 :

إذ أتى بأستعارات مكنية لُيحقق صورة شعرية تجسد معنى الشجاعة وتُجسمه للقارىء.

ويُفيد الشاعر من الترادف في المسميات اللونية لأشتقاق الرؤى الدلالية الشعرية ، ومن ذلك لفظة) البيض (التي تدل على اللون الابيض فضلا عن دلالتها على معنى السيف كناية عن أفعالهِ البيضاء المُشرفة ، فيفيد الشاعر مثل ذلك الترادف ليُحقق صورة شعرية غزلية قائمة على أبعاد لونية وشعرية رقيقة المعنى ، إذ يقول في الغزل بالعيون (1) :

قالوا : عيونُ البيضِ بيضُ الظُبى قُلْتُ :
ولكن هذهِ نسُـــــــــــودُ

وتبرز السمة اللونية في غرض الرثاء لتحقق تبادلاً دلالياً لدلالة اللون الاحمر الذي يراه الشاعر في أعُين الباكين زهراً مورداً يزين روضة قبر المرثي ، إذ يقول(2) :

وحَسْبُكَ مِنْ زوار ِ قَبْرِكَ رَوضةٌ تُرى
أعيُنَ الباكِينَ زَهْراً مُوَرَّدا

فقد أدخل الاستعارة المكنية في قوله ِ) روضة ترى (في سياق تشخيصي لُيحقق صورة تشبيهية طريفة.

ومن الصور الشعرية اللونمائية قوله (3) :

يامَعْشَر الفتيان ِ ماعندكـــــم في حائم
ٍذِيـــــْـــدَ عن الوِرْد ِ

آلى على الخمرة ِ لاذاقهـــــــــــا
ماعاش َ ، إلاّ زمـــــــــنَ الوَرْدِ

وقد مضى الوَرْدُ ، فهل رُخصَةٌ في أن يكون
الوَرْدُ مـــــــن خَدِ

(1)شعر إبن القيسراني 155 :

(2)م . ن 173 :

(3)م . ن 186 :

ولطالما يتكرر لون لمعان السيف الذي يشبهه الشاعر بلون الصبح ولمعانه ويجعل وجه الشبه مجسداً دلالياً في هزيمة الاعداء وإبادتهم بالسيف وإنجلاء الدُجى بغرة الصباح النيرة إذ يقول(1) :

لافارَقَتْ ظِلَّ مُحبي العَدْلِ لامِعَةٌ كالصُّبْحِ تطوي من الأعداءِ مانَشروا

ومن الصور اللونمائية قوله في الغزل (2) :

غَرَسَ الحياءُ بِصَحْنِ وَجْنَتَها وَرْداً سَقى أغصانَهُ النَّظَرُ

فالشاعر يأتي بأستعارات عديدة لُيحقق صوراً تجسيمية تُجسد خفر الفتاة وحياءها المتمثل بلون ِوجْنَتِها الاحمر.

(1) **شعر ابن القيسراني** 208 :

(2)**م . ن** 215 :

ومن الصور المائية التي يوازن فيها بين الماء والدموع لُيحقق شدة حُزنه ِ وألمهِ قوله(1) :

أقول لخيلي عنـــد أبلى وماؤه يُباري دموعي والرَّفاق ُ تسيرُ

تجاوَزَنَ عن ماءِ الغدير ِ وشُرْبهِ فَبَيْنَ جُفوني للرَّكاب ِ غَديـــــرُ

بل هو يردف لفظة) الدمع (بلفظة) الماء (ليُحقق إثراءً شعرياً ودلالياً ، إذ يقول(2) :

وأنْشَرَ مِنَّي لَوْعَةَ القلب ِ صاحبي فأسْبَلَ ماءُ الدَّمْع بِيْنَ المحَاجِر ِ

ولطالما يوازن إبن القيسراني بين لوني الاسود والابيض موازنة ضدية تخفي في ثناياها رؤى شعرية جمالية ، ومن ذلك قوله(3) :

وأحَربَـــــا مِن بَياض ِوَجْنَتِـــــــهِ تَراكَضَتْ فيه ِ ظُلْمَةُ الِشَّعْر ِ

حينَ تَبَدَّى سوادُ عارِضهِ كما تبدّى الكسُـــوفُ بالقَمَر ِ

ويوظف هذين اللونين بدلالة مجازية ، إذ يقول(4) :

ما أسودَّ في يوم ِ الصُّدود ِ فَأَنَهُ يَلقاك َ في لَيْل ِ التواصُل ِ أبيَضُ

ويحقق الجناس اللفظي تلاعباً دلاليا ً يُفضي الى فضاءات شعرية يحقق بها الشاعر صوراً لونية عميقة الدلالة ، ومن ذلك قوله في المدح(5) :

يَزْدادُ مِنْ كُلَّ السَّواد ِ تَحَبباً حيناً ، وماكُلُّ السَّواد ِ مُبْغِضا

(1)شعر إبن القيسراني216 :

(2)م . ن241 :

(3)م . ن 243 :

(4) م . ن 273 :

(5)م . ن 273 :

وبعد ذلك يأتي ليفصل في معنى هذه الصورة فيقول موظفاً العنصر المائي المتمثل بالبحر الذي هو عنوان الكرم والعطاء(1) :

كالبَحْرِ مابات ً الرَجاءُ مُناجياً عَنْهُ المُنى
إلاّأطال ً وأعرضا

ثم يتحد عنصر الماء مع اللون في قوله (2) :

لو لَمْ يَكُنْ لِبَنانهِ شِيَمُ الحيـــــــــا ما أزهر
القِرطاسُ مِنُه ورَوَضَا

ومن الصور الغزلية اللونية قوله (3) :

يا مِنْ لِصَبٍّ شَجاهُ لَيْلُ صَبْوَتهِ لَماَّ تَبَسَمَ هذا
الأبيضُ اليَقَقُ

وتسهم الصورة اللونية في أبداع الشاعر حين يتخلص الى غرضه ً الاساس ، إذ يقول(4) :

لا أرهَبُ اللّيلَ حتى شابَ مَفرِقَهُ وهَلْ يخافُ الدُّجَى
مَنْ شَمْسُهُ أبَقُ

وكثيراً ما يُلائم الشاعر في صوره الغزلية بين الدلالات الشعرية اللونية، ومن ذلك قوله (5) :

لَقَدْ فتَنتني فَرَنْجيَةٌ نَسيمُ العَبيرِ بها يَعْبَقُ
ففي ثوبها غُصْنٌ ناعِمٌ وفي تاجِها قمرٌ مُشْرقُ
وان تَكُ في عينِها زُرقةٌ فأن سِنانَ القنا أزْرَقُ

(1)شعر إبن القيسراني273 :

(2)م . ن 273 :

(3)م . ن 307 :

(4)م . ن 307 :

(5)م . ن 310 :

ويوظف الشاعر اللون في سياق مجازي فاعل في قوله(1) :

ولا نَصْلَ إلاّ لَهُ بارِقٌ دِماءٌ الطُّلى تَحْتَهُ وابِلُ

فضلاً عن توظيفيه للعنصر المائي في سياق مجازي شعري ، كقوله(2) :

شَقَقْتمُ إليها بحارَ الحديـــ ـد ِ مُلتطماً موجهُ الهاطِلُ

إذ أتى بأستعارة تصريحية في قوله) بحار الحديد (اضفت القوة والحماسة على هذه الصورة الشعرية.

ويأتي التشبيه الضمني ليضفي على الشاعر الكرم الوافر،إذ يقول محققاً صورة شعرية تعتمد الرمزالمائي :(3)

فَهَلْ لي على البُعْدِ من قُرْبَةٍ يُديلُ بها فضلْكَ الدائِلُ ؟

فأَ ن الغمامَ بَعيدُ المَنَـــــا ل ِ وفي كُلَّ فَـــــجَّ لَـــهُ نائِلُ

وتتتابع المشاهد الصورية المائية في قولهِ مادحاً شجاعة ممدوحهِ (4) :

يُزجي النَّدى حتّى إذا ما اعتدى فا لدَّمُ منِ سَطْوَتْهِ هاطِـــــــــلُ

ما سِاجَلَتْـــــــــهُ المُزنُ إلاّ انْثنى مُسْتحيياً من طَلَّهِ الوابِـــــــــلُ

لايَتناهى فَيْـــــضُ معروفـــــــــهِ وايُّ بَحرٍ مالَهُ ساَحِـــــــــــلُ

(1)شعر إبن القيسراني 334 :

(2)م . ن335 :

(3)م . ن 336 :

(4)م . ن 339 :

ونجد ان التقابل اللوني عند إبن القيسراني يحقق إثراءً شعرياً متميزاً في قوله (1) :

وياسَنا شَعَري نَفَّرْتَ عن بصري بيضُ الأوانس ِ واسْتَنْفَرْتَ عُذالي

هَبْ أن لَيْلَ شبابي زالَ فأحِمُـــــــهُ عَنِّي فمـــــا بالُ أسحاري وآصالي ؟!

ويوائم الشاعر بين لوني الاحمر والاسود موائمة طريفة ومُنسجمة ، إذ يقول (2) :

بِسَيفكَ المنُتضى مِنَ الكحَلِ وَوَردِك المُجْتَنى مِنَ الخَجَل ِ

ويلتحم العنصر اللوني مع العنصر المائي إلتحاماً شعرياً حماسياً في قول الشاعر ، وهو يصف شجاعة الممدوح ، إذ يقول (3)

حتى إذا ما أحاط المُشركون َ بِناَ كاللَّيْل ِ يَلْتهِمُ الدُّنيا لَـــهُ ظَّلَمُ

وأقبلوا لا من ِ الأقبـــــــال ِ في عَدَدٍ يَؤودُ حاسَبَهَ الأعياءُ والسَّأَمُ

أجْرَيْتَ بحراً من المآذي مُعتكِـــــــراً أمواجُهُ بأواسي البأس ِ تلَتْطَ ِمُ

وينسج إبن القيسراني أروع الصور اللونية المنبعثةَ من الأشتراك اللوني في قوله (4) :

وإن أنكَرَتْ مُقْلَتَاهُ دَمي فسائِلْ بهِ حُمْرَةَ الوَجْنَتَين ِ

(1)شعر إبن القيسراني355 :

(2)م . ن365 :

(3)م . ن 374 :

(4)م . ن 409 :

إذ يسهم العامل المشترك اللوني) الاحمر (بين لون الدم ولون الوجنة في تحقيق الأبداع التصويري.

ومن الصور المائية الجميلة قوله في شكوى الحب ولوعاته(1) :

ودادُ بأكناف الوفاءِ مُمَنَـــــعٌ وعَهْدٌ بأنواءِ الصَّبابَةِ مَعهودُ

وإنـيَّ لخَوارُ الشكيمَةِ في الهوى وإن باتَ في خَدَّيَ للدَمعِ أُخْدودُ

ويبدع الشاعر في توظيف الاستعارة مع الكناية في رسم صورة شعرية مائية تثير تداعيات لونية تجسد عطاء الممدوح وكرمه ، في قوله (2) :

أتَقَيّلُ الجَدوى وتلْكَ غَمامـــــــــــةٌ حاشاكُم إنقَشَعَتْ ونُجْمٌ قد خوى

فهو يصور كرم الممدوح وعطاءه الذي لم ينضب يوماً ، فيأتي بالاستعارة المكنية في بداية البيت) أتقيَّلُ الجدوى (لُيحقق صورة تجسيمية ، وهوحاذق في إنتقاء مفردة) أتقيلُ (وهونوم الظهيرة أو الاستراحة ظهراً ليربط بين هذا المعنى وعطاء الممدوح الذي يأتي راحة وطمأنينة له ويحقق ذلك بكنايتين يعتمد فيها على مصادر الطبيعة الصامتة ليجسد عطاء الطبيعة الذي لاينضب يوماً بل قد ينضب يوماً وعطاء الممدوح لاينضب.

وتتتابع المشاهد الصورية اللونمائية لُيحقق الشاعر الدلالات الشعرية المتميزة، ومن ذلك قوله وهويصف شجاعة نور الدين زنكي: (3)

(1)**شعر إبن القيسراني** 159 :

(2)م . ن66 :

(3)م . ن 76 :

وفي شُعَب الأَكُوارِ مَنْ هو عالِـــــــــــــمٌ
غداة ً إستطارَ البَرْق مَنْ طارَلُبُّهُ

يَشيمُ ثُغورَ المُزنِ تهْمـــــــي كأنَهـــــــــــا
سَنا بِشْرِ نور الدَيّنِ تَنْهُلُّ سُحبُـــُـهُ

إذا ما سَمـــــــا في مُبْهمَ الخَطْبِ وَجْهُهُ تَمزَّقَ
عن بَدْرِ الدُّجَنّـــــة حُجْبُهُ

توَلَّدَ بين الغَيْثِ واللّيْث ِ والتُّقى مُنافِســــــــــهُ
، أيُّ الثلاثـــةِ تُرْبُهُ

ففي هذه الابيات تتابع المشاهد الصورية في سياق شعري مُكثف ، إذ يوظف البرق ، فضلاً عن توظيفه السُحب التي تهمي في صورة شعرية تشبيهية ضمن سياق شعري يحقق صورة شعرية تمتاز بالشجاعة والاقدام والاستنبسال ، ويُسهم الجناس اللفظي بين الليث والغيث في نسج صورة شعرية كنائية تخص الممدوح بصفتي الشجاعة والكرم.

ويُبدع الشاعر في تحقيق صور شعرية لونمائية ذات تراكم دلالي فاعل ، إذ يقول (1) :

سَيفٌ إذا إبتسَمتْ مضارِبُ سيفهِ أيقنتَ أن البرقَ
ليسَ بِخُلَّـــــــــبِ

يأتمُ في ليل الوغى بسَنانـــــــــــــــهِ
أرأيت َ شمساً تستضيء ُ بكوكَبَ

إن كُنْتَ غراً من حقيقة ٍبأســـــــــــهِ فأسأل
بها غُرَرَ العِتاقِ والشُّزَبِ

كاللّيْثِ تَرْتَجِـــــــــــلُ الثناءَ وفودُهُ يومَ
السَّلام ٍ على أغَرَّ مُحَجَّـــــــــبِ

مُستَمْطِرُ النُعّمى يَشِـــــــــفُّ حَياؤهُ عن شِيمةٍ
ذَهَبٍ وَوَجْهٍ مُذَهَـــــبِ

ففي هذه المشاهد الصورية يتحقق الابداع التصويري ، بوساطة الوسائل البلاغية الموظفة توظيفاً شعرياً ينسجم وسياق القول الشعري إذ يشبه الممدوح بالسيف ، ثم يحقق استعارة مكنية تشخيصية تخفي وراء ملامحها آفاقاً معنوية وصورية ، فالسيوف حين تحقق الموت للأعداء تبتسم ، وتلك صورة قوامها التضاد بين الموت وحزنه ، والانتصار وفرحه ، ثم يأتي في الشطر الثاني ليحقق صورة كنائية في قولهِ) أيقنت أن البرقَ ليسَ بخُلَّبِ (إنه وظف هذه الكناية في شعره توظيفاً متعدد الأوجه والدلالات فتأتي مرة لتصور كرم الممدوح ، ولكنها هنا أتت لتصور شجاعة الممدوح ، وفي هذا المعنى أفاد الشاعر من الدلالة اللفظية وأبعادها التصويرية للفظة) المطر (الواردة في القرآن الكريم والتي تحقق النيل من الكفار والاعداء (2)

ويُعرج بعد ذلك الى الشمس والكواكب ومافيها من طاقة ضوئية لُيحقق صورة شعرية تجسد شجاعة الممدوح ونوره الذي يفوق بريق سنانهِ، ثم يشبهه في البيت الثالث بالليث، ويعود في البيت الرابع ليصفه ُ بالكرم في قوله) مُستمطرُ النُّعمى (ليحقق بتلك العناصر ابداعاً وصفياً متميزاً.

(1)**شعر إبن القيسراني**95 :

(2)**ينظر** : **آية 84 من سورة الاعراف ، آية 82 من سورة هود ،آية 74 من سورة الحجر ،آية 173 من سورة الشعراء ، آية 58 من سورة النمل ، آية 32 من سورة الانفال ، آية 40 من سورة الفرقان.**

ومن الصور الاستعارية التشخيصية اللونمائية قوله في المدح (1) :

ألاّ إنما قاضي القُضاةِ وشَمسُها سماءٌ يَرِبُّ المجدَ هامي رُبابهـــــا

تَصُدُّ الغوادي عن مُباراةِ كفَّـــــه ِ وقد شُغِلَتْ من عُجبها وعُجابَها

ومن الصور اللونمائية ، قوله في المدح (2) :

شامَتْ دِمَشْقٌ بِكَ بَرْقَ العُلا فأرسَلَتْ أصدقَ روادِها

رأتْكَ نورَ الدَّيْن نارَ الهُدى قد أشرَقَ الأُفقُ بأَيقادِها

فيَممَّتْ منك حَيا مُزْنَـــــةٍ بيضُ الأبادي وردُ ورّادِها

ومن الصور اللونمائية التي قالها في مدح نور الدين زنكي (3) :

فأقَمْتَ كالشَمْس ِ المنُيرةِ ، إن نأَتْ

عن أُفقِهافلها بهِ أقمـــــــــــــــارُ

إذ يشبه ممدوحه بالشمس وضوئها السرمدي التي مهما نأت عن البلاد فلها أقمار ، أي ان ضوءها سرمدي لايأفل.

(1)شعر إبن القيسراني 106 :

(2)م . ن178 :

(3)م . ن 201 :

ويبحر الشاعر في تلك الفضاءات واسرارها وعطائها المستفيض وفق سياق شعري تصويري، بل قد يوظفها بمرادفاتها فنراه يقول الغمائم تارةً، ويقول السحب تارة أخرى، بل هو حاذقٌ في إنتقاء تلك المرادفات ووضعها في سياقها المنسجم ومن ذلك قوله في المدح : (1)

ما يمتري الظَنُّ فيهِ عِندَ نائِلـــــــــــهِ
إن الغمائِـــــــــــــمَ مِن كَفَيْهِ تَمْتارُ

يهمي سحاب ُ يدَيهِ وهو مُبتسِم
وللغزالـــــــــــــــةِ أنواءٌ وأنوارُ

شمسُ لها من معالي جَدَّ ها فلكٌ
تسْري به مِن سُعودِ المجدِ أقمارُ

كواكِبُ هَمُّها إدراك ُ غايتِهـــــا
من العُلى ، والعُلى للشُّهْبِ مضمارُ

وتتعدد صور الممدوح في سياق شعري لوني ، فهو قمرٌ لايأفل ، في قوله: (2)

ما زِلْتُ أرقَبُ كُلَّ نجمٍ طالع ٍ حتى
نظرت ُ إلى البهيَّ الزاهر ِ

فرأيتَ نجمُ الدّيْنِ في أُفق ِ العُلى
أبقى على وَضَّحِ الصَّباح ِ النائرِ

(1)شعر إبن القيسراني 205 :

(2) م . ن 225 :

ولطالما وصف الممدوح بالتألق والنور ، إذ قال في نور الدين زنكي(1) :

هَلْ وَجهُ نور ِ الدَّين ِ غيرُ سَنا صَدَع
الدُّجى عن خَجْلَةِ البَدْرِ

ومثل ذلك التشبيه قوله وهو يُشبه سيرته ونهجه الحسن إذ يقول(2) :

ياسَائلي عن نَهْج ِ سِيَرتـــــــــــــهِ هَلْ
غيرُ مَفْرَق ِ هامَةِ الفَجْرِ ؟!

اذ وظف التشبيه في الشطر الثاني من البيت ليُثني على سيرة الممدوح النيرة. وهو دائم الثناء على سيرة ممدوحه العطرة ، ومن ذلك قوله وهو يحقق ابداعاً صورياً كنائياً (3) :

ما غابَ عن آفاق ِ مَطْلَعـــــهِ
إلاّ ليَفْتِرَ عن أنوارِكَ الأُفـــــــقُ

ما دامَ شمسُكَ فينا غَيرَ آفِلَةٍ فالدّيْنُ
مُنتظِمُ ، والمُلْكُ مُتسِقُ

ومن الصور المائية قوله في المدح (4) :

أنشأتَ في حَلَبٍ غمامَةَ رأفَةٍ
أمْدَدْتَ ديمتَها بِنَوْءٍ دائـــــــــــم

ومن الصور اللونمائية مايتحقق في اجتماع الشمس والغمام في تشبيه واحد في قوله ، مشبهاً ممدوحه بالشمس والغمام (5) :

أنتم كالشَمْش ِ لولا خِدْرُها ما
شَكى عاشِقُها لَيْلَ التمام ِ

(1)شعر إبن القيسراني 229 :

(2) م . ن 231 :

(3)م . ن 309 :

(4)م . ن 379 :

(5) م . ن 381 :

فهو يشبهه بالشمس عطاءً وبهاءً ، ثم يقول مُستكملاً رسم صورته(1) :

طالِعُ المغرب ِ من مَشْرِقـــــه طلعةُ
الشَمس ِ على أهل الشام

عاقِدُ الجودِ غماماً هاطِلاً أو ليس
الشّمس ُ حرباً للغمام ؟

فهو يجمع بين نوافر الاضداد جمعاً مجازياً لُيضفي على الممدوح العطاء الذي لاينضب.

ب – عناصر الطبيعة الاخرى:

بعد أن وقفنا على ثنائية اللون والماء ، كونها الاكثر حضوراً بين عناصر الطبيعية الاخرى ، ووضحنا اثر هذه الثنائية في التشكيل الصوري في شعرإبن القيسراني ، نسلط الضوء الآن على عناصر الطبيعة الاخرى ونبين فاعليتها في الابداع التصويري ، وكما اسلفنا ـ فأن للبيئة الساحلية والمناخ الساحلي ، والطبيعة الغناء الاثر الفاعل في إعتماد الشاعر على مصادر الطبيعة في نسج صوره الشعرية ، فضلاً عن ذلك فأن ثقافة الشاعر ومعرفته بعلم الفلك ، واحوال الانواء ، لها الأثر الكبير في نسج الصور الشعرية التي تعتمد الطبيعة في بنائها ، ومن تلك الصور قوله(2) :

داوِ أنفاسي بأنفاس ِ الصَّبا فلتعليل ُ
الهوى إعتَلَ الهواءُ

إذ أعتمد في تشكيل هذه الصورة الشعرية على الجناس اللفظي بين مفردتي) الهوى (و)الهواء (و) تعليل (و)إعتل (لُيحقق من تلك الجناسات تتابعاً منطقياً بين المشترك اللفظي الذي يحقق إشتراكاً معنوياً فهو يتداوى بريح الصَّبا التي هي رياح الصباح الباردة ليبث في تلك الرياح عِلتَهُ فيعتل الهواء من إعتلاله ِ، فهو يبث شوقه لريح الصَّبا التي تعتَلُ من أنفاسه ِ الحرى.

(1)شعر إبن القيسراني381 :

(2)م . ن 52 :

وهو يلتمس من الطبيعة عناصرها الحركية ، ومن ذلك قوله في وصف فعِلْ الخمرة وأثرها (1) :

أرأيْتَ ما فَعَلَتْ بِنّا الصِهْبـــــــــــــــــــــاءُ
من حيث تَسبي العَقْلَ وهي سِبَاءُ

جَارَتْ على الأعطافِ حينَ جَرَتْ لها جَرْيَ
النَّسيمِ غصونهُ النُّدَ مـــــاءُ

فهو في البيت الثاني يأتي بصورة تشبيهية طريفة إذ يُشبه تمايل السكارى بحركة الغصون ، فهو اعتمد في نسج صورته التشبيهيه على حركة الغصن وتمايله العشوائي .ولديه بعض الصور الشعرية التي يذكر فيها علم الفلك واحوال النجوم والكواكب، ومن ذلك قوله في المدح:(2)

قَدْ حَلَقَتْ بِكَ في المعالي هِمَّةٌ
لاتستطيعُ تجوزُها الجَوْزاءُ

فأسْلَمْ فأَنكَ للمساعي غايةُ وأفْخَرْ
فأنَّكَ للسَّماء ِ سمَاَءُ

اعتمد الشاعر على مصادر الطبيعة) بنجومها واجرامها (في نسج صورة شعرية تجسد علو همة الممدوح وشمائله التي بلغت عنان السماء لايستطيع) الجوزاء (وهونجم في أعالي السماء أن يصل إليها ، لأن الممدوح للسماء سماء ، وهوفي هذين البيتين يعتمد) الكناية (في تحقيق صورتين كنائيتين في عجزي البيتين ليجسد أروع معاني المدح وأسماها.

ومثل ذلك قوله وهو يحقق أروع الصور الاستعارية التشخيصية (3) :

مِنْ مَساعٍ إذا عَقَدَتْ على الشُّهْـ ـبِ
رِهاناً جَازَتْ مَدى الجَوْزاءِ

فالأستعارة المكنية التي تجعل من المساعي شخصاً يعقد الرهان ويجاوز مدى الجوزاء أثرت الصورة الشعرية ، وولدت أبعاداً تشخيصية اسهمت في إضفاء صورة الشجاعة للممدوح.

(1)شعراء إبن القيسراني 55 :

(2)م . ن 57 :

(3)م . ن 59 :

بل إنهُ يتشرك مظاهر الطبيعة الصامته وجماليتها في بيان شوقه للحبيبه النائية ، ومن ذلك قوله(1) :

تَلَقَّوْا تحياتي إليكُم عن الصَّبا إذا حان
مَن ذَاك النَّسيمِ هبوبُ

فَمِنْ حذري وَرَّيْتُ بالبانِ والنّقا مخافةَ
أن يسَعْى عَليَّ رقيـــــــبُ

فلا تمنعها من قوامِكَ هَـــــــزَةٌ
فيحظى بها غُصنٌ سواكِ رطْيبُ

وتسهم مصادر الطبيعة في تحديد الزمن في قصيدتهِ وهويحدد وقت نزوله عند الممدوح ، إذ يقول (2) :

فليتَ أبن أُمي ، والكواكبُ جُنَّحٌ يرى
أنني فوقَ النَّجيبُ نجيـــبُ

وأنيَّ صَرَفْتُ الهَّم عَنيَّ بهمـــــــةٍ
تفري دُجىً عن صُبحها وكُروبُ

ولم يكن الغصن أو العود مصدراً لنسج الصور الغزلية فحسب ، بل نراه يوظف هذه الالفاظ في سياق المدح إذ يقول (3) :

وَرِيقٌ وفي عودِ الكِرامِ قَساوةٌ طليقٌ وفي
وجهِ الزمانِ قُطوبُ

إذ وظف لفظة) وريق (ليحقق بهذه الاستعارة التصريحية صورة الكرم والعطاء المماثلة في شخص الممدوح.

ثم يقول فيه وفي وصف أخلاقه الكريمة مجسداً ذلك في صورة شعرية(4) :

لَهُ خُلُقٌ تُبدي الصَّبا مِنْهُ غِيْرَةً يكادُ
إذا هَبَتْ عَلَيهِ يَذوبُ

(1)شعر إبن القيسراني 82 :

(2)م . ن83 :

(3)م . ن 83 :

(4)م . ن83 :

ويسهم الجناس في الابداع التصويري ، بل قد يلجأ إبن القيسراني الى توظيف مصادر الطبيعة التي تتطلبها الصورة الشعرية من خلال المجانسة اللفظية ، ومن ذلك قوله (1) :

للّه ِ نسبـــــــــةُ أنفاسي إلى حُرَقي
إذا النسيمُ إلى رَيا الحمى أنتَسِبـــــا

أهكذا لم يَكُنْ في الناسِ ذو شجَن ٍ
إلاّ صَبَا كلما هَبَتْ عليه صبَا

وتتوالد المعاني الشعرية من تلك العناصر الطبيعية إذ بنسجها نسجاً شعرياً وفق سياق شعري متميز

إذ يقول (2) :

يا عَجَباً من قائَل لَمْ يَجِـــــــدْ معنىً
فقاسَ الشَمْسَ يوماً بهِ

تلِكَ إحتراقُ النَّجْمِ في قُربْها منهُ ، وهذا
الفوزُ في قُربـــــهِ

إذ يحقق صورة تشبيهية مفصلة لمعنى العطاء الذي لاينضب والذي يمتاز به الممدوح لُيحقق إبداعاً تشبيهياً مقلوباً كي يجسد معاني العطاء في شخص الممدوح الذي يفوق عطاؤه عطاء الشمس.

ومن الصور الغزلية التي يوظف فيها الشاعر عناصر الطبيعة توظيفاً ينسجم والسياق الجمالي ، قوله(3) :

بالِسَّفْح ِ من لُبنان لي قَمَرٌ مَنَازِلُهُ القُلوبْ

حَمَلَتْ تحِيَتَهُ الشَّما ل ُ، فَرَدَّها عَنَّي الجَنوبْ

(1)شعر إبن القيسراني88 :

(2)م . ن107 :

(3)م . ن115 :

ويدقق الشاعر في جزيئات العناصر الطبيعية ليحقق صوراً شعرية فاعلة ، ومنها قوله في الغزل(1) :

ومِا كَلَفُ البَدْرُ ماقِيلَ فيـــــــهِ ولكنْ رأى وجهَها فأنتَقَبْ

وما خلَف الرَّيقُ مثلُ الرّحيـ ـقِ لو لم يَفُتْها اللَّمى والشَّبْ

إذ يحقق أبداعاً مجازياً موشحاً برؤية تقريرية ، فهو يشتق من كلف البدر في صورته الحقيقية صورة استعارية تشخيصية في قوله) أنتقبْ (تلك الاستعارة المكنية التي تحقق ابعاداً جمالية وشعرية تنسجم وسياق القول الشعري ، ثم ينتقل من هذه الصورة البصرية الى صورة ذوقية تحمل دلالات تشبيهية تجسد الأبداع الشعري الغزلي.

ومن أروع الصور السمعية التي تحقق معاني الثناء والمدح، قول الشاعر(2) :

وقَلَدتَنْي طَوْقَ الحَمامَةِ مِنَّةً تَرَدَّدَ فيها من ثنائِكَ تَغْريـــــــدُ

ثناءٌ يُثني اعظمَ الدَّهْرِ دقةً وإيرادُهُ في وَجْنَة الشمس ِ توريدُ

إذ يحقق صورة سمعية يوظف فيها الاستعارة المكنية توظيفاً فاعلاً ، ثم يعود في البيت الثاني ويحقق ابداعاً صورياً يعتمد البصر او الحاسة البصرية في صياغته ِ الشعرية.

وهويجنح الى لفظة) الريح (ليحقق دلالة شعرية تتمخض عنها صورة كنائية، ومن ذلك قوله: (3)

إن تُمْسَ في حَلَب ِرياحُك َغضَةً
فَلَها بأنطاكيَّـــــــــــةٍ إعصارُ

(1) **شعر إبن القيسراني**116 :

(2)م . ن 168 :

(3)م . ن 201 :

فهو يجسد أحوال الممدوح وصفاته بكنايتين شعريتين ، وهويوظف العنصر الطبيعي نفسه)الريح (في موضع آخر وضمن سياق غزلي ،إذ يقول (1) :

قالوا : السّلوُّ سبيلُ اليأس ِ بعَدهُمُ
وكيف أسلو وريحُ الشّوق ِأعصارُ

إذ يحقق في الشطر الثاني صورة تعتمد الاستعارة المكنية في نسج صورة تجسيمية شعرية في قوله) ريحُ الشوق ِ إعصار ُ. (

بل هو يوظف مظاهر الطبيعة وينسج من خواصها الجزئية أرق معاني الغزل وأعذبها ، ونراه يدخل ذلك في سياق من الغزليات الحجازية الشفافة ، ومن ذلك قوله(2) :

سَلا نسيمَ الصَّبا النَّجْدِيَّ نَفْحَتَـــــــــهُ :
هَلْ عِنَدهُ مِن ظِباءِ الرَمْل ِ أخبارُ

ماعُرَّجَ الرَّكْبُ عَنَّي يوم كاظِمـــــــــــــةٍ
إلاّ ودونَ تراقي القـــــوم أسرارُ

وفي الظعائن مِنْ عَدنانَ غانَيـــــــــــــــــةٌ
لها مِن القَلْبِ ماتهوى وتختـــارُ

غُصْنٌ تَنزَّهَ أن يُجنى لَهُ ثمَـــــــــــــــــرٌ
من الوصال ِ ، وهل للَبان ِ أثمــارُ

تعتادني خطراتٌ مِنْ تَعَطُّفِـــــــــــــــــه
ودونَ ذلك أهوالٌ وأخطـــارٌ

وفي المُقيمين بالزوراء ِ لي سَكَنٌ
كأنمّا طرْفُه للفَتْكِ غيـــــــــــارُ

ساومتُهُ نَهْلَةٌ مِن ريقـــــــــــــــهِ بدمي
وليسَ غيرَ خفي اللَّحْظِ سَمِسارُ

(1)شعر إبن القيسراني 203 :

(2)م . ن 204 :

فهو يُشبه فتاتهُ بالغُصْن وهو يلتمس لها الاعذار في نأيها وهجرها إذ يخلع عليها صفات البان وهوغصن الجمال والمنظر الرائع دون ثمار ، إذ تتداخل الصورة التشبيهية مع الصورة الاستعارية لتُحقق تجسيماً شعرياً دلالياً مُكثفاً ، ويُمعن الشاعر في اضفاء الحركة على صورهِ الغزليةِ مثل تثني الغصن وحركة العيون التي تفتك بناظرها.

ويقول في وصف دار نور الدين زنكي(1) :

دارٌ تَغارُ الشَّمسُ في أُفقِها مِنْ حُسْنها ، والشمسُ مغيارُ

يزأرُ فيها ضيغَمٌ مالـــــهُ
غيرَ سُيوفِ الهندِ أظفـــــارُ

ان إبن القيسراني يخص بعض عناصر الطبيعة بأهتمام كبير ، وحضور واسع اكثر من العناصر الاخرى فيكرر) الشمس (،) الليث (،) الغيث (،) السحاب (،) الاسد (،) الغمائم (،) البحر. (

ويدخلها في سياقات شعرية متنوعة ، فالشمس في الابيات السابقة جاءت لتحقق جمال هذه الدار وحُسنها، ووظف الاستعارة المكنية في قوله) تغارُ الشمس (لُيحقق من خلالها صورة الممدوح وما يمتاز به من قوة وشجاعة.

والشاعر شغفٌ بالأجرام السماوية ، فهو يقول في إحدى خمرياته(2) :

والكأسُ والساقي إذا إقْتَرَنا فأنظُرْ إلى
المرَّيخِ والقَمَرِ

ويجمع بين عناصر مختلفة من الطبيعة ليُحقق إبداعاً شعرياً متميزاً ، ومن ذلك قوله في الغزل(3) :

على أرْدافِها قُضبانٌ بانٍ تَميسُ
بفاتنات اللَّحْظِ حُورِ

إذا أنتصَبَتْ فأَقطارُ الدَّراري وإن مالتْ
فأفلاكُ البـــــدورِ

(1)**شعر إبن القيسراني** 205 :

(2)م . ن 231 :

(3)م . ن 237 :

ولطالما طالبَ المشبه أن يتصف بصفات المشبه به ، ومن ذلك قوله في الغزل(1) :

بُلِيْتُ بقاسي القَلْبِ ، لاعطفَ عِنْدَهُ أما شيمة ٌ
للغُصْن ِ أن يَتَعَطَفا

ومن الصور الغزلية التي تعتمد الطبيعة ومصادرها الحية في إبداعها الدلالي الصوري قوله (2) :

مِنْ كُلَّ شَمْس ٍ لها من ٍ خِدْرِها فَلَكٌ
وَبَدْرُ تَم ٍ لَهُ من فرعهِ غَسَقُ

ومن كثيب ٍ تَجلَّى فوقَهُ قَمَـــــــــــــرٌ
على قضيب ٍ لَهُ من حُلَّةٍ وَرَقُ

فقد حقق بالاستعارات التصريحية المتعددة صوراً شعرية غزلية رقيقة.

ونراه ُ شغفاً بمظاهر الطبيعة وجماليتها وعطائها الدائم ، وهو لذلك يُدخلها حتى في النص الرثائي ليُخرجَه ُ نصاً حياً متدفق العطاء والحياة في سياق شعري صوري فاعل ، ومن ذلك قوله وهو يُعزي نور الدين بأخيه ِ سيف الدين غازي ، إذ يقول(3) :

إن كان صِنْوكَ هذا قد ثوى فَذَوى
ففي مغارِسِك َ الأثمار ُ والورقُ

إنهُ يحقق في الشطر الثاني صورة كنائية شعرية تعتمد عناصر الطبيعة من ثمار وأوراق ومغارس وعطاء وحياة في دلالة بديعة فهو يحقق معاني المدح من خلال النص الرثائي.

وتضفي الطبيعة بألفاظها وعناصرها المختلفة الابداع والرقة والشفافية ، ومن ذلك قوله في إحدى غزلياته(4) :

لقَدْ فَتَنَتنْي فَرَنْجيَّةٌ نسيمُ العَبير
بها يَعْبَقُ

ففي ثوبِها غُصْنٌ ناَعِمٌ وفي تاجِها قَمَرٌ
مُشَرِقُ

(1)شعر إبن القيسراني291 :

(2)م . ن306 :

(3)م . ن309 :

(4)م . ن310 :

فهو يحقق بتلك الاستعارات التصريحية في البيت الثاني) غُصنٌ ناعم (و) قمرٌ مُشرِق (صورة شعرية غزلية تعتمد الحاسة البصرية ، فضلاً عن تلك الصورة الشمية التي نسجها الشاعر في بيتهِ الأول في قولهِ) نسيم ُ العَبير بها يُعْبَقُ (

وتمتزج الصورة السمعية والبصرية في سياق حقيقي تقريري وهويصف جمال مدينة دمشق ، إذ يقول موظفاً الطبيعتين الصامتة والمتحركة (1) :

أرضٌ تَحِلُّ الأماني في أماكنِّهـــــــــا
بحيثُ تجتمعُ الدُّنيا وتَفْتَـــــــــــرَقُ

إذا شَدا الطيْرُ في أغصانِها وَقفتْ
على حدائقِها الأسماعُ والحَدَقُ

بل هو يتفنن في رسم صور الطبيعة رسماً شعرياً بألوانهِ المتناسقة فهو لايوظف القمر بلفظهِ وبصورته وبمرادفهِ البدر فحسب ، بل يتبحر بأطوار ومراحل نشوء القمر ، ليُحقق الابداع المعنوي الشعري ، ومن ذلك قوله في الغزل (2) :

ياهِلالا ً لاحُ في شَفَـــــــــق ٍ
أعْف ِ أجفاني مِنَ الأرَق ِ

فُكَّ قلبي يا مُعَذَّبَـــــــــــهُ
فهو مِن صُدغَيْكَ في حَلَق ٍ

فهو يختار لفظة) هِلالا ً (ويدخلها في سياق مجازي من خلال الاستعارة التصريحية ، وينسج ذلك كله في سياق شعري وبنية زمنية أو فترة زمنية مُدتها) من وقت الشفق (الذي يعني ظهور الهلال في أُفق السماء بمراحله ِ التكوينية الاولى ، والذي يعني بداية لقاء الشاعر بحبيبتهِ ورؤيته لها إلى أن يتسق ويصبح بدراً ، وتلك إشارة دلالية إلى تمكن الحب في قلب الشاعر ، مما أدى به الى الارق السرمدي ، فتلك الايماءات الدلالية وذلك الأثراء الدلالي جسده الشاعر في سياق شعري متجانس.

(1)شعر إبن القيسراني 311 :

(2)م . ن319 :

ونراه يوظف عناصر الطبيعة في سياق من القوة والأقدام ، وهو ينتقي الحيوانات المفترسة ويوازن بين قواها ، ليُحقق صورة شعرية تجسد شجاعة الممدوح المتميزة عن الآخرين ، إذ يقول(1) :

فلا تَحْفَلَنَ بَصَوْل ِ الذئاب ِ وقد زَأرَ
الأسدُ الباسِلُ

فقد وظف الكناية في نسج هذه الصورة الشعرية ، فقد جاءت الكنايات في هذا البيت لتجسد المعنى الشعري وفق سياق بصري سمعي يحقق غمار الموت وأثواب الردى التي يقتنصها الممدوح دون مُنازع.

وتتداخل عناصر الطبيعة في مقدمات قصائده التي تصف مجالس اللهو والغزل ، ومنها قوله (2) :

أقَدُّكَ الغُصْنُ أم الذَّابِـــــــــل ُ
ومُقلتاكَ الهِنْدُ أم بابِلُ ؟

سحِرْانِ : هذا طاعِنٌ ضارِبٌ
وتلك منها خَبَلٌ خَابِلُ

والمبدي من فارغ ٍ لـــــــــمْ يَزَلْ
لي من هَواهُ شُغُلٌ شاغِلُ

ظبيٌ متى خاتَلْتُهُ قانصـــــــــاً
رجعتُ والمُقْتَنصُ الخاتِلُ

لِمّتَهُ أم أرقَمٌ هائِـــــــــجٌ
وصُدْغهُ أم عَقربٌ شائِلُ

يحقق الشاعر في هذه الابيات صوراً شعرية من تمازج تلك العناصر الطبيعية وهو يوظف التشبيهات المتعددة فضلاً عن الصورة الكنائية المتحققة في بيته ِ الثاني ، بل أن المفارقة تكمن في أن الشاعر لايفيد من عناصر الطبيعة ذات الدلالة الجمالية الرقيقة فحسب ، بل هو يوظف عناصر الطبيعة المؤذية) كالأرقم (و) العقرب (ويضعها في سياق شعري يحقق دلالة جمالية تضفي أرق معاني الغزل واعذبها ، ويتمثل ذلك في البيت الاخير الذي حقق فيه الشاعر صوراً تشبيهية غزلية .

(1)شعر إبن القيسراني337 :

(2)م . ن 337 :

ومن الصور التشبيهية التمثيلية قوله(1) :

يشرَبُ كأساً طَلَعَتْ في يَـــــــــدٍ كوكبهُا في قَمَرٍ آفِـــــــــــلُ

كأنهُ والجـــــــــامُ في كَفـــــــــهِ بدرُ الدجُّى في شفقٍ ناهلُ

غُصْنُ النقا يحُمِلُ شمس الضحُّى ياحبذا المحمولُ والحامِـــــــلُ

وكثيراً ماتدبُ الحركة في مفاصل المشاهد التصويريةالتي أعتمد فيها عناصر الطبيعة ، ومن ذلك قوله في وصف مُغَنٍ وهو يصفه وصفاً تشبيهياً حركياً ، إذ يقول(2) :

والله لو أنصفَ الفتيان أنفسهم أعطوك مِا ادَّخروا منها وصانوا

ما أنتَ حين تُغني في مجالسهـــم إلاّ نسيمُ الصَّبا والقومُ اغصـــــانُ

والشاعر حاذق في إنتقاء جزيئات صورته ودقائق تشبيهاته إذ انتقى) نسيم الصُّبا (دون غيره لما لَهُ من إثراء دلالي شعري يحقق الابداع التصويري المنسجم والنص الشعري.

ومن المفارقة الصورية التي اعتمد فيها عناصر الطبيعة ووظفها في سياق شعري مجازي ، قوله في الغزل ووجد المحب (3) :

ومِن عَجَب أنّي أشتكـــــــي قساوةَ غُصْن من البان لَيْن

(1)شعر إبن القيسراني337 :

(2)م . ن400 :

(3)م . ن409 :

ويرتمي الشاعر في احضان الطبيعة ليُحقق أرق صور الحزن والوجد ، إذ يقول مُناجياً الحمائم محققاً صورة سمعية(1) :

وحَمائمٍ ناحَـــــتْ على فَنَن ٍ فَبعثْنَ لي حُزنـــاً إلى حَزَن

ناحَتْ ونُحْتُ وفي البكا فَرجٌ فظللتُ أسْعِدُها وتُسِعدُني
شتى الهوى والشوق ُ يجمَعُنــا كُلٌ بكى مِنّا على شَجَــن

2-فاعلية الاقتباس والتضمين في تشكيل الصورة الشعرية في شعر إبن القيسراني:

وفي هذا المقام نتحدث عن المصدر الآخر والذي يُعد مصدراً حياً وفاعلاً، إذ اسهم وبشكل واضح في تحقيق الأبداع التصويري في شعر إبن القيسراني إلاّ وهو الاقتباس والتضمين ،والاقتباس والتضمين اصطلاحاً)) هو أن يُضَمَّن الكلام شيئاً من القرآن او الحديث لا على أنهُ مِنْهُ .(2) ((أما التضمين فهو إصطلاحاً)) ان يتضمن البيت كلمات من بيت آخر (3) ((

وقد حظي إبن القيسراني بثقافات متنوعة وعلوم شتى تركت بصماتها في فكره ِ مما انعكس على فنه ِ الشعري. وقد انتقى الشاعر من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والموروث الشعري والأدبي والتأريخي ماينسجم ومعناه المراد ، ولقد أبدع في صياغة تلك المعاني والصور في إطار وسياق شعري، ومن ذلك قوله(4) :

هَلْ مَحَلُّ الحُبَّ إلاّ أعْيُنٌ خائِناتٌ وقلوبٌ أُمَنـــــاءُ

(1)شعر إبن القيسراني413 :

(2)الايضاح في علوم البلاغة ، صنعة الشيخ العلامة الخطيب القزويني) ت 379 هـ (تحقيق د .رحاب عكاوي ، ط 1،دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،2000 م322 :

) (3)البديع في نقد الشعر ، اسامة بن منقد ، تحقيق د. احمد بدوي ، د.حامد عبد المجيد ، مراجعة ابراهيم مصطفى ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، 249 : 1960

(4)شعر إبن القيسراني 52 :

فهو ينظر بهذه الصورة التشخيصية الى قوله تعالى)) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ. (1) ((ويضع ذلك الأقتباس في سياق نصي ليُحقق صورة شعرية تقوم على

توظيف الاستعارة المكنية في رسم صورة تشخيصية للعيون والقلوب ، فضلاً عن ذلك فقد حقق الشاعر تضاداً بين لفظتي) خائنات وأُمناء (كي يثري المعنى الكامن في هذه الصورة الشعرية التي تجعل من العين خائنة لانها تنظر الى ما يُسقم صاحبها ويؤرقه أي النظر الى الحبيبة ، وتجعل من القلوب) أُمناء (لأنها تفي للحبيبة وحُبها.

ويوظف الشاعر القصة القرآنية في نسج صوره ِ الشعرية ومن ذلك قوله في وصف بطولة نور الدين زنكي ووقائعه البطولية(2) :

وعارَمَ يوماً بالعُريْمَة فأغتَدَتْ كوادي ثَمود ٍ إذ رَغا فيه سَقْبُهُ

فهويجانس بين الفعل) عارَم (واسم المكان) عُريمة (ليحقق من ذلك التماثل الصوتي تماثلاً دلالياً يجسد شدة الممدوح وقوته وشراسته في الأستيلاء على الحصن وتخريبه وإذعان الأفرنج لأمره ، فهو حاذق ٌبأختيار اللفظ المنسجم مع السياق الدلالي فضلاً عن الأبداع الصوتي والانسجام بين الحروف في تحقيق الاثراء الصوتي ، وقد عرج الشاعر إلى الاقتباس القصصي للقصة القرآنية إذ وظف قصة نبي الله) صالح (في سياق نصي إعتمد في بنائه اسلوب التشبيه بالأداة ٍ،وانتقى الشاعر جزءاً مهماوفاعلاً من هذه القصة وهو رُغاء سقب الناقة عندما فرَّ الى الجبل هرباً من الملاحقين له الذين قتلوا أُمهُ الناقة وعقروها. (3)

وهذا الجزء هو نهاية قوم ثمود الذين اصبحوا بعد ذلك في ديارهم جاثمين ، واراد الشاعر في ذلك الجزء أن يرسم صورة تشبيهية مفصلة تحقق التقارب الفني والدلالي بين صورة المشبه) الافرنج أصحاب الحصن (والمشبه به) قوم ثمود الذين اصبحوا في ديارهم جاثمين .(

(1)الآية 19 من سورة غافر

(2)شعر إبن القيسراني 77 :

(3)ينظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ط 3، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت 65:

وهو يفصل احياناً في جزئيات القصة القرآنية ليحقق إثراءً صورياً وشعرياً من خلال الاقتباس القصصي واللفظي من النص القرآني إذ يشبه فتح عماد الدين زنكي لمدينة الرها سنة 539 هـ بوقعة بدر تشبيهاً مجازياً يريد من خلالهِ اضفاء صفات التقوى والورع على شخصية الممدوح التي تحذو حذو الشخصيات الاسلامية ، إذ يقول في تهنئة القاضي الشهرزوري بمناسبة فتح عماد الدين زنكي لمدينة) الرها (سنة 539 هـ(1) :

لله ِ أيــَـةُ وقْعَةٍ بَدْرِيَّـــــــــــــــةٍ نُصِرَتْ
صحابَتُها بأَيْمَن ِ صاحــب ِ

ظفَرٌ كمال الدين ِ كُنْتَ لِقاَحَـــهُ كَمْ ناهـــض ِ
بالحَرْب ِ غيرَ مُحارب ِ

وامَدَ كُمْ جيشُ الملائِك ِ نَصْرَة ٍ بكتائب ٍ
محفوفة ٍ بكتائـــــــــــب ِ

ان الشاعر في هذا النص الشعري يقتبس قوله تعالى

))وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(2) ((

(1)شعر إبن القيسراني 103 :

(2)آية 123 - 127 من سورة آل عمران.

ويقتبس إبن القيسراني في أحد نصوصهِ القصة القرآنية ، فضلاً عن إقتباسه ، الفاظاً قرآنية جاءت في قصة أخرى ومن ذلك قوله وهو يوظف قصة النبي هود) عليه السلام (وقومه)عاد (1) (، ثم يقتبس ُ الفاظاً قرآنية وردت في قصة نبي الله يوسف) عليه السلام (في سياق نصي واحد ، وذلك يتمثل في قوله (2) :

وإنما الأفرنجُ من بَغيهـــــــــــــــا عادٌ وقد عادَ لهـــــــــــــــا هُودُ

قَدْ حَصْحَصَ الحقُّ ، فما جاحِدٌ في قلبهِ بأسُكَ مجحـــــــــــــــودُ

فهو بعد أن يوظف القصة القرآنية في البيت الأول ، يقتبس اللفظ القرآني المذكور في سورة يوسف في قوله تعالى)) الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ . (3) ((ليجسد معاني الانتصار والغلبة للممدوح ومناصريه.

وقد يوظف الاقتباس اللفظي لألفاظ القرآن الكريم في سياق نصي شعري موشحاً ذلك بالتماثل اللفظي أو الجناس الذي يعتمده كثيراً في بناء صوره وإبتكار الدلالات الشعرية لتحقيق الأبداع الدلالي الصوري ، ومن ذلك قوله في وصف العيون والتغزل بها(4) :

وَطَرْف ٍ تجلى عن سَقامي سَقَامُهُ فَهَلا شَفى مَنْ باتَ مِنْهُ على شَفَا

فهو يجانس بين اللفظتين المُتجانستين لفظاً ، والمتضادتين معنىً) شفى ، شفا (ليحقق صورة شعرية تجسد هلاك المحب وسقامه بطرف الحبيب وهو هنا يقتبس اللفظ القرآني من قوله تعالى)) : وكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.(5) ((

(1)ينظر : قصص الانبياء ، قصة نبي الله هود) عليه السلام 49 : (

(2)شعر إبن القيسراني156 :

(3)آية 51 من سورة يوسف

(4)شعر إبن القيسراني292:

(5)آية 103 من سورة آل عمران

إنه يقتبس اللفظ القرآني المتضمن الهلاك ثم الانقاذ ليحقق سياقاً شعرياً تصويرياً ينسجم والمعنى المراد ، أي المعنى الدعائي بالشفاء بعد الهلاك والسقام .

وفي سياق الصورة التشخيصية نرى أن الاقتباس النصي من القرآن الكريم والفاظه الكريمة يحقق ابداعاً شعرياً وفنياً يتحقق بالاستعارة المكنية والاقتباس القرآني معاً ، ويتمثل ذلك في قول الشاعر(1) :

شُرِحَ المِنْبـــــــــرُ صَدْراً لِتَلَقَّيكَ رَحيبـــــــــاً

أترى ضَمَّ خطيبـــــــــاً مِنْكَ أم ضُمَّخُ طيْبَا

فهو في البيت الأول يقتبس قوله تعالى)) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي .(2) ((أو قوله تعالى)) أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. (3) ((ليُحقق من ذلك الاقتباس القرآني صورة شعرية فنية فضلاً عن الأبداع الجمالي الذي تحقق في البيت الثاني والذي فَعَّلَ من الدلالة الصورية والشعرية ليُحقق إبداعاً تصويرياً في نسج صورة شعرية ذات نمطٍ شمي ، إذ تبرز الحاسة الشمية المتحققة من ذلك التجانس أو التماثل اللفظي بين الالفاظ) ضَمَ خطيباً (و)ضُمَّخَ طيبا. (

وتحقق الاقتباسات القرآنية ، إبداعاً تصويرياً يضفي الجمالية والأبداع الفني على النص،ومن ذلك قوله(4) :

وأهوى الذي أهوى لَهُ البَدْرُ ساجِداً ألستَ ترى في وجههِ أثَر التُّرب ِ

فهو يقتبس جزءاً من آية قرآنية ليوظفها في سياق فني شعري ، إذ يقتبس صورة البدر المقتبسة من قوله تعالى في سورة يوسف))إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(5)((

(1)شعر إبن القيسراني 92:
(2)آية 25من سورة طه
(3)آية 1من سورة الشرح
(4)شعر إبن القيسراني 100 :
(5)آية 4من سورة يوسف

ويُدخل ذلك الاقتباس القرآني في سياق مجازي تقريري فهو يعتمد أحياناً على حُسن التعليل في توليد الصور الجديدة من المعاني القديمة فضلاً عن إلتماسهِ العلة الجديدة للظاهرة التي يصفها .

ومن الصور الشعرية التي اعتمدت الاقتباس القرآني قول لشاعر في المدح (1) :

أتقيَّلُ الجَدْوى وتِلْكَ غمامَـــــــــــةٌ حاشاكُمُ انقشَعَتْ ونَجْمٌ قد خوى

فهو يعتمد في نسج هذه الصورة على اللفظة المهيمنة)الغمامة (ولايخفى ماللغمامة من تراكم دلالي وشعري يُسهم في إثراء الصورة الشعرية وهو يبدع في إثراء التشكيل الصوري من خلال التجسيم الصوري المتحقق بتلك الاستعارة المكنية في قوله)أتقيَّلُ الجدوى (فضلاً عن ذلك فهو يوشح كل هذا بأقتباس قرآني،إذ يقتبس الشاعر قوله تعالى)) :وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (2) ((ليوظفه في سياق مجازي يثري الصورة الشعرية التي تجسد معاني المدح حين يقول) :ونجمٌ قد خوى (

وهوحين يمدح يضفي معاني الألتزام الديني ومبادىء الاسلام على شخص الممدوح ليزيدهُ وقاراً، إذ يقول (3):

أمُتخِذَ الأَخلاصِ للهِ جُنَّةً وَمَنْ يَعْتَصِم باللهِ ،
فاللهُ حَسْبُهُ

فهو يقتبس الفاظ هذا البيت من القرآن الكريم في آيات متعددة ، إذ نظر الشاعر الى قوله تعالى)) :وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (4) ((فضلاً عن ذلك فقد نظر الى آيات أخرى تتضمن الالفاظ نفسها كقولهِ تعالى)) :قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (5) ((وغيرها من الآيات الأخرى التي تحمل الألفاظ ذاتها .

(1)شعر إبن القيسراني 66:

(2)آية 1 من سورة النجم

(3)شعر إبن القيسراني 80 :

(4)آية 101 من سورة آل عمران

(5)آية 38 من سورة الزُّمر

وينتقي الشاعر إقتباساته التي تنسجم والسياق الشعري للنص فنراه يختار اللفظة المناسبة والمنسجمة مع ذلك النص دون غيرها ومن ذلك قوله في مقدمة إحدى قصائده المدحية الحماسية وهويريد أن يبث روح الحماسة في قلوب المقاتلين إذ يقول (1) :

هي جَنَّةُ المأوى ، فَهَلْ مِن خاطبٍ لاثَ الجوابُ على
رَسولِ الرّاغبِ

إذ اقتبس لفظة) الجنة (ولم يكتف بهذه اللفظة بل أضافها إلى مفردة) المأوى (دون الالفاظ الأخرى الموجودة في القرآن الكريم ليُحقق من ذلك الاقتباس بُعداً دلالياً مكانياً يجسد الاستقرار في الجنة والخلود فيها ، وينظر الشاعر في ذلك الاقتباس الى قوله تعالى)) وَأَمَّامَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (2) ((بل قد يرد الاقتباس القرآني عند إبن القيسراني في اشارة مكانية دالة يضعها الشاعر في سياق شعري (3) ، إذ يقول في الغزل (4) :

أيْنَ مَضاءُ الصَّارم الباتر ِ مِنْ لحظات ِ الفَاتِن ِالفاتـــــــر ِ ؟

وأينَ مايؤثَرُ عن بابَـــــلَ مِنْ فَعْل ِ هذا النَّاظِر السّاحْر ِ ؟

فهو يشير في صدر البيت الثاني الى دلالة مكانية في صورة كنائية ، مقتبساً ذلك من قوله تعالى :

))يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ(5) ((

(1)شعر إبن القيسراني 103 :

(2)آية 41 من سورة النازعات

(3)وتكرر مثل تلك الاشارات المكانية الى) بابل (في مواضع متعددة من قصائده ، ينظر : شعر إبن القيسراني الصفحات 335) : ، 345، 354 ، 360 ، 370 ،.(395

(4)شعر إبن القيسراني 235 :

(5)الآية 102 من سورة البقرة

وكثيراً ما تدخل القصة القرآنية في اقتباساتهِ ، إذ يقول في المدح (1) :

صَبَرْتَ ، فكانَ الصَّبْرُ خيرَ مغَبَّةٍ فَسِيقَ إليك المُلْكُ يسعى به النُّجْحُ

كأن القنا تجلو له وجَـــــــــه أمره ِ ولو أمهَلَتْ بلقيسُ ماغَرَّها العَرْشُ

إذ ينظر الشاعر الى قوله تعالى))فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (2)((ليُحقق في عجز البيت الثاني صورة تشبيهية بوساطة ذلك التشبيه المتجسد في قوله) ولو أمْهَلَتْ بلقيسُ ماغَرَّها العَرْشُ (ويريد من هذا أن البطل)الممدوح (مايزال يَسْتَبسْل ِ في أرض القتال وكأن القنا بينت له الشجاعة الكامنة في شخصهِ ، ولكنه لو تأمل نفسه لوجد أن الشجاعة جزءٌ من شخصهِ ، فلماذا إذن يتعجب

بالرمَّاح فهو يكاد يكون رُمحاً لشجاعته ، وبذلك فأن التشبيه الذي يتضمن عرش بلقيس الذي تعجبت به حين عُرِّضَ عليها، اسهم في رسم هذه الصورة الشعرية.

ويقتبس الشاعر اللفظ القرآني ويكرره في سياق شعري متناغم ليُحقق صورة شعرية مبدعة ، ومن ذلك قوله وهو يمدح الممدوح ويذم اعداءَهُ(3) :

قَتَلْتَ أشَحَّهُمْ بالنَّفْس ِ إذ لا يجودُ بنفسه ِ غيرُ الشَّحيح ِ

فهو يكرر في شطري البيت المفردات) الشَّح ، والنفس (بصيغ متعددة مقتبساً قوله تعالى)) وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ(4) ((

وهو بذلك يحقق بُعداً دلالياً وشعرياً فضلاً عن التناغم الصوتي الناجم من تكرار الالفاظ مما يحقق إثراءً صوتياً متميزاً فضلاً عن الأثراء الدلالي المتحقق من تلك الكناية الشعرية ، إذ يقول إنك قتلت أشحَّ الاعداء بنفسه فالذي يجود بنفسه ِ هو شخص ٌ شحيحٌ وبخيل ٌ بصفات المروءة والشجاعة لذا يجود بنفسهِ ، وبذلك نرى كيف أنه كان موفقاً في إقتباسه ِ هذا الذي أدخله في سياق شعري متميز.

(1)**شعر إبن القيسراني**134 :

(2)**آية 42 من سورة النمل**

(3)**شعر إبن القيسراني**149 :

(4)**آية 128 من سورة النساء**

وحين يصف عزم الرأي وسُداده وإصابته عند الممدوح يعرج الى الاقتباس القرآني والبناء الاستعاري المجازي في سياق شعري ، إذ يقول(1) :

مُصيبُ سهامَ الرأي لو أن عَزمُهُ رمى سَدَّ ذي القرنين أصْمى سُدادَهُ

إذ يقتبس معنى بيته من قوله تعالى)) : قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا(2) ((

وينظر إبن القيسراني الى الشخصية في القرآن الكريم والتي تشكل محوراً رئيساً وفاعلاً في النص القرآني فهو يقتبس شخصيات الانبياء) عليهم السلام (ويضعها في سياق تشبيهي على سبيل المدح المبالغ فيه ومن ذلك قوله(3) :

نالَ المعالي حاكِماً مالِكاً فهو سليمان ٌ ودَاوودُ

إذ يوظف شخصيتي سليمان وداود) عليهم السلام (وفق سياق تشبيهي فهو ينظر الى قوله تعالى:

))وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (4) ((

وتفنن الشاعر في صياغة صوره الشعرية المقتبسة من القصص القرآني فضلاً عن توظيفه للفظ القرآني وفق سياق واحد ، وهو يفصل في جزئيات الصورة الشعرية وفق ماينسجم والسياق القولي المتجسد في النص الشعري ومن ذلك قوله في المدح (5) :

وَصَلْتَ بِمِعراجِ النّبيَّ صَوارِمٌ مساجِدُها شَفْعٌ وساجِدُها وِتْرُ

(1)شعر إبن القيسراني149 :

(2)آية 94 من سورة الكهف

(3)شعر إبن القيسراني155:

(4)الآيتان 78 ، 79 من سورة الانبياء

(5)شعر إبن القيسراني 197 :

فهو يشير الى قصة الاسراء والمعراج (1) ، المعجزة التي خُصَّ بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد) صلى الله عليه وسلم (ونراه في الشطر الثاني وبعد أن وظف قصة الاسراء والمعراج ، يقتبس اللفظتين) شفع ، وتر (من قوله تعالى)) : وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. (2) ((وهويضع كل ذلك في سياق شعري موظفاً الكناية واسلوبيتها الشعرية ليحقق صورة شعرية تجسد شجاعة الممدوح وذل الاعداء ، فالضربة الواحدة بالسيف والتي يستشهد بها المقاتل المسلم تُعادل ضربتين وتقتل اثنين من الأعداء .

وتأتي إقتباساته القرآنية في سياق شعري تشخيصي ومن ذلك قوله مفتخراً بشاعريته ، في خاتمة إحدى قصائده المدحية (3) :

هي القانتاتُ الحافظاتُ فروجَها فشاهِدُها عدلٌ ورائِقها سِحْرُ

ولو لم يَكُنْ في فَضْلِها وكمالِهـــــــا سوى أنّها من بَعْدِ عُمْرِ الفتى عُمْرُ

إذ يقتبس الشاعر قوله تعالى)) :إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً(4) ((
فهو يدخل الفاظاً معينة من هذا الاقتباس في سياق شعري ، إذ يوظف الاستعارة المكنية ليحقق صورة شعرية تشخيصية تجسد جدة قصيدته المدحية وحداثتها وحفظها لعهد الممدوح .

(1)ينظر :إتسان العيون في سيرة الأمين والمامون المعروفة بالسيرة الحلبية ، لعلي بن برهان الحلبي الشافعي ، د.ط ، مطبعة مصطفى محمد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، د .ت 450 / 1 :
(2)الآية 1-3من سورة الفجر
(3)شعر إبن القيسراني 199 :
(4)الآية 35من سورة الاحزاب

وهوحاذقٌ في إنتقاء اللفظ القرآني ووضعه في سياق نصي شعري ومن ذلك قوله وهويمدح عماد الدين زنكي ويحذر الأفرنج من بطشهِ وبأسهِ الشديد ، إذ يقول (1) :

حَذارِ مِنَّا وأنَّى يْنفَعُ الحَذَرُ وهي الصَّوارِمُ لاتُبقي ولاتَذَرُ

إذ يقتبس الشاعر اللفظ القرآني في قوله)لاتبقي ولاتذر (من قوله سبحانه وتعالى))سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (2) ((فهو يقتبس هذين اللفظين من مشاهد يوم القيامة في وصف جهنم ليُحقق الدلالة الشعرية في سياق تشبيهي يجمع بين فعل جهنم وفعل الصوارم ، إذ ان كليهما يُبطشان بالمرء ويُهلكانه ، فمثلما تنال جهنم أو سقر من الكافرين تنال الصوارم من الاعداء ، فهو اقتباس لفظي تشبيهي ، موازن .
ومثل ذلك الاقتباس اللفظي قوله وهو يصف شجاعة الممدوح ونيله من الاعداء (3) :

فتحَ الضَّرائمُ المُصطلى لِعلُوجهـــــــــــــا
باباً إلى جَمْرِ الجَحيم الذَاهِـــــب

باتوا أساطينَ الضّلالِ واصبحوا هدفاً
لقاذفةِ العذابِ ، الواصبِ

فهو في البيت الأول يذكر لفظ)الجحيم (ليُجسد الخسارة الفادحة للأعداء ونيل الممدوح منهم ، ويعود في البيت الثاني ويقتبس اللفظ القرآني من قوله تعالى)) :لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (4) ((

(1)**شعر إبن القيسراني** 207 :

(2)**الآية** 28 -26 **من سورة المُدثر**

(3)**شعر إبن القيسراني** 104 :

(4)**الآية** 9 – 8 **من سورة الصافات**

فهو انتقى جملة) العذاب الواصب (وهو العذاب الدائم الذي لاينقطع ليحقق خسارة الاعداء الأزلية . ومن الاقتباس أيضاً قوله في مدح نور الدين زنكي(1) :

وأعادَ نورَ الحَقَّ في مَشكاتهِ وأقامَ وَزْنَ العَدْلِ بالقُسطاس ۞

إنه يقتبس اللفظ القرآني بدلالته ۞ العميقة المتمثلة في قوله تعالى)) : اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . (2) ((

فهو في الشطر الأول من البيت يقتبس اللفظتين)نور (و)مشكاة (ليُحقق دلالة مدحية عميقة تجسد فعل الممدوح ، إذ أعاد الحق إلى نصابه بحكمتهِ وعدله فأصبح نور الحق بعده نوراً مضيئاً في مشكاتهِ ، وافاد الشاعر من التجسيم البلاغي المتحقق بتلك الاستعارة المكنية المقتبسة من سياق التشبيه القرآني المتجسد في الآية الكريمة ، وهو في الشطر الثاني يقتبس آية أخرى ليُحقق معنى العدل المتجسد في شخص الممدوح فهو يقتبس اللفظ القرآني ليضعه في سياق مجازي يحقق افضل معاني المدح ، إذ يقتبس قوله تعالى))وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (3)((

ومن الاقتباس اللفظي قول الشاعر (4) :

لكَ اللهُ ، إن حاربتَ فالنَّصْرُ والفَتْحُ وإن شِئْتَ صُلحاً عُدَّ من حَزْمِكَ الصُّلحُ

فهو ينظر الى قوله تعالى))إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ(5)((

(1)شعر إبن القيسراني 256 :
(2)آية 35من سورة النور
(3)آية 182، 183من سورة الشعراء
(4)شعر إبن القيسراني 133 :

(5)الآية 1من سورة النصر

ومن الاقتباس اللفظي ايضاً قول في أحدى مقدماتهِ الغزلية (1) :

وَطَرْفٍ تَجلّى عن سَقامي سقامُهُ فهلا شَفى

مَنْ باتَ مِنْهُ على شَفَا

فهو في الشطر الثاني يقتبس اللفظ القرآني من قوله تعالى)) :وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا(((2)

وهو يحقق بذلك الاقتباس اللفظي دلالة مجازية مقتبسة من الدلالة المتحققة في اللفظة القرآنية التي تجسد معاني الطمأنينة بعد الخوف من الهلاك ، والشفاء بعد السُقام والألم المُضني ، ولاشك أن للصورة الكنائية وما يتخللها من جناس لفظي بين)شفا ، شفى (الأثر الكبير في عمق المعاني الدلالية فضلاً عن الابداع الأيقاعي المتجانس .

ومن الاقتباس القرآني الذي يحقق معاني الحق المتجسدة في الحروب ضد الصليبين ، ما قاله إبن القيسراني وهو يُهنىء الوزير جمال الدين في إنتصاره بأستعادة مدينة الرها (3) :

أما آن أنْ يُزهَقَ الباطِلُ وأن يُنْجِزَ العِدَةَ الماطِلُ

فهو في الشطر الاول من بيتهِ يقتبس اللفظ القرآني من قوله تعالى)): وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (4)((ويُدخِل ذلك الاقتباس اللفظي القرآني في سياق الدعاء والرجاء في إنتظار مجيء الحق الذي هو آتٍ بأذن الله وزهوق الباطل ، ومن الأقتباس القرآني ما يدخل في سياق اقتباس الشخصية القرآنية أو القصة القرآنية ومن ذلك قوله (5) :

نارٌ ونورٌ كأَن إنسَهمـــــــــا في اللَّيلِ ما

اَنسَ أبنُ عُمرانِ

فهو يقتبس قوله تعالى في مقام الحديث عن نبي الله موسى)عليه السلام)) (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ (6) ((

(1)**شعر إبن القيسراني 292 :**

(2)**آية 103من سورة آل عمران**

(3)**شعر إبن القيسراني 333:**

(4)**آية 81من سورة الأَسراء**

(5)**شعر إبن القيسراني 405 :**

(6) **آية 10 من سورة طه**

و يدخل ذلك الاقتباس في سياق تشبيهي ليُحقق دلالة تصويرية بارعة ، إذ أن)) النار هي النار التي ظهرت لموسى) عليه السلام(،ولم تكن ناراً في الحقيقة بل كانت نوراً مخلوقاً من إرادة الحق سبحانه وتعالى(1) . ((

وكان للحديث النبوي الشريف الحضور المتميز والواضح في إقتباسات إبن القيسراني ومن ذلك قوله في الغزل(2) :

ولِكَمْ نَوَيْتُ لِقاكُمُ وتَصُدُّني أيدي النَّوى ، ولِكُلَّ عَبْدٍ ما نوى

فهو في هذا البيت يقتبس اللفظ والمعنى من الحديث النبوي الشريف)) إنما الأعمالُ بالنِّيَّةِ ، وإنّما لأمرىءٍ مانوى . فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسُولِهِ فِهجْرَتُهُ الى الله ِ ورَسُولِهِ ومن ْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصيبُها أو إمْرأة ٍ يتزوَّجُها ، فِهْجرَتُهُ إلى ما هَاَجَرَ إلَيْه ِ(3) ((

ومن الاقتباس من الحديث النبوي الشريف قول الشاعر في المدح(4).

جَنبوا الدُبْورَ وقُدْتُمُ ريحَ الصَّبا (5) جُنْدُ النُّبوَّةِ ، هل لها مِنْ غالبِ ؟

فهو يقتبس الشطر الأول من قول الرسول محمد) صلى الله عليه وسلم)) : (نُصَّرْتُ بالصَّبا وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُورِ(6) ((

إذ حقق بذلك الاقتباس صورة كنائية جسدت انتصار الممدوح وجيشه وخسارة الاعداء.

(1)مواهب الرحمن في تفسير القرآن تأليف عبد الكريم محمد المدرس ، عُني بنشره محمد علي القره داغي ، ط182/ 6: 1

(2) شعر إبن القيسراني66 :

(3)صحيح مسلم للأمام ابي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري 204) هـ 26 - هـ (، دار الآفاق العربية ،القاهرة ، 2005 م 825 :

(4)شعر إبن القيسراني 103 :

(5)جبنوا الدبور : أي وضعوا إلى جانبهم ريح الدبور التي تهب من نحو الغرب والتي تقابل ريح الصَّبا ، وهذه كناية عن إنهزام الأفرنج وانتصار المسلمين ، فالأفرنج لفزعهم وطلبهم الهرب على خيولهم كأنما وضعوا إلى جانبهم ريح الدّبور حتى إذا ماكَلتْ خيولهم تحولوا الى ركوب هذه الريح ، والعرب تتفاءل بريح الصّبا لطرواتها وتتشاءم من ريح الدبور لأهلاكها) . ينظر شعر إبن القيسراني 104 : ، (105

(6) صحيح مسلم347 :

ومثلما تنوعت اقتباساته ، فأن تضميناته تنوعت ايضاً ، ومن تضميناته مايدخل في سياق الأحداث التأريخية، ومن ذلك قوله في المدح(1) :

ياذَا المناقِبِ كُلّما اجتهدُ العدى في كَتْمِها
نَمَّتْ بهـــــا الآلآءُ
عَقَدَ الرَهانَ على لِحاقِكَ مَعْشَـــــرٌ لادَاحِسٌ
فيهم ولاالغَبرْاءُ

فهو في البيت الثاني يشير الى القصة التأريخية للفرسين داحس والغبراء اللَّذين ثارت بسببهما حرب طويلة دامت أربعين سنة بسبب رهَان جرى بين صاحبي الفرسين.(2)
فهو يُدخل هذا التضمين التأريخي في سياق تشبيهي يُفضي الى معاني المدح العميقة المتجسدة في شخص الممدوح الذي لايستطيع أحدٌ اللحاق به.

ومن التضمين مايدخل في سياق استحضار الشخصية التأريخية ويتمثل ذلك بقوله(3) :

فأذا يُقاس ُ بخَيْلِ قَيْسٍ خَيْلَهُ عَدَّتْ مَعَدٍّ وأعربَتْ
عن يَعْرُبِ

إذ يستحضر الشاعر شخصية قيس بن غيلان بن مُضَرْ وهي شخصية تأريخية ، إذ عُرِف هذا الشخص بخيلهِ الكثيرة الوفيرة، (4) فضلاً عن ذلك فهو يستحضر قبيلته أيضاً قبيلة) معد(، ويذكر بموازاتها قبيلة

الممدوح قبيلة) يعرب (وفق سياق تشبيهي متناسق ومتوازن

وفي سياق استحضار الشخصيات التأريخية قوله في الغزل(5).

عقائِلَ تخشاها عُقَيْلُ بن عامرٍ كواعب َ
لاتُعطي الذَّمامَ على كعب ِ

(1)شعر إبن القيسراني 56 :

(2)ينظر : العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، د. ط ، دار الفكر للطباعة ، د ت ، د . م :ج 14 / 16 ومابعدها

(3)شعر إبن القيسراني 94 : ، وينظر : الأغاني ، لأبي الفرج الاصبهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي) ت 356هـ (، طبعة كاملة محررة معها فهارس جامعة بأشراف وتحقيق ابراهيم الأبياري ، دار الشعب ، 1970 م : مج6479 / 18

(4)ننظر : جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف للطباعة ، مصر ، 1962 م : ج 271 / 1

(5)شعر إبن القيسراني99 :

فهو يستحضر شخصية عقيل بن عامر (1) وهو يصف النساء الحرائر الكريمات اللواتي يخشاهِن الرجال.

ويعرج الشاعر الى صور الشعراء الآخرين ومافيها من مفارقة تصويرية تجسد دلالات شعرية عميقة ، ومن ذلك قوله في الغزل(2) :

رنا بِطَرْفِ مريضِ الجَفْنِ مُنْكَسِرٍ فَمَنْ رأى جؤذَراً يَلْهوُ بآسادِ

إذ ينظر في صياغة هذا البيت الى قول ابن الفارض في الحب الالهي ، إذ يقول(3) :

وَعَلى الكَثْيبِ الفَرْدِ حَيٌّ دُونَهُ الْـ آسَادُ صرعى مِن عُيونٍ جآذِرٍ

إذ أَفاد إبن القيسراني من هذا البيت وضمنه في شعره ، ولاشك ان إبن القيسراني أفاد من السياق النصي لبيت ابن الفارض والذي يجسد الفناء في الذات الالهية ، وفكرة الحب الألهي ، فضلاً عن إفادته من الالفاظ ، ليحقق من ذلك التضمين أروع حالات الوجد والضنى الذي عُرف به المحبون.

ولاشك ان فكرة ارتباط الحب بالموت في شعر ابن الفارض (4) ، كان لها الاثر الكبير في ذلك التأثر النصي والمتجسد في بيت إبن القيسراني .

ومن التضمين قوله في الغزل والعتاب (5) :

صَدَ عْتَهُمُ صَدْع الزُّجاجة لايَدٌ لجابِرها ماكُلُّ كَسْرٍ لَهُ جَبْرُ

فهو في هذا البيت ينظر الى قول المعري ، إذ يقول (6) :

يُحطَّمُنا ريبُ الزمان كأننا زُجاجٌ ولكن لايُعادُ لَهُ سَبكُ

(1)ينظر : جمهرة انساب العرب : ج 288 / 2

(2)شعر إبن القيسراني 188 ، وفي المعنى نفسه ينظر ابياته في ص 306من الديوان ، وص 338 من الديوان

(3)ديوان ابن الفارض ، صحة وضبطه وعلق عليه وقدم له ، د. ابراهيم السامرائي د . ط ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان الاردن ،1985 م 87 :

(4)ينظر : سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى ، نازك الملائكة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993 م 212:

(5)شعر إبن القيسراني 195 :

(6)اللزوميات او لزوم مالايلزم ، لأبي العلاء المعري ، قدم له واشرف على اختياره وتصحيحه عمر ابو النصر ، د . ط ، د . م ، 1969 : 184

أو أن إبن القيسراني ينظر الى قول الشاعر إذ يقول (1) :

إن القلوبَ إذا تنافَر وِدُها مثلُ الزجاجة ِ
كَسْرُها لايُجَبرُ

ومن تضمين الشخصيات الادبية قوله في الفخر بالشاعرية(2) :

أهدى لها الشرفَ إستماعُك فأدَّعَتْ نسبَ
الرَّضيَّ نباهة ً والمُرتضى

فهو يعرج الى هاتين الشخصيتين لما لهما من نسب كريم وشريف ، فالرَّضي هو ابو الحسن محمد بن الحسن الموسوي ويتصل نسبه بجدَّه الاعلى الأمام علي بن ابي طالب) عليه السلام (ولد سنة 359 ببغداد ، وتوفي سنة 404 هـ . (3) والمرتضى : هوعلي بن الحسين أخو الشريف الرَّضي نقيب الطالبيين ولد سنة 355 هـ وتوفي سنة 436 هـ.(4)

وفي استحضار هاتين الشخصين رسم الشاعر صورة كنائية تشخيصية جسد فيها أصالة قصيدته وعمق دلالاتها.

ومن التضمن قوله في الغزل(5) :

ولَقَدْ رَمَيْتُ فما أصَابَتْ أسْهُمي
ورَميتِني فأصابنَي سَهْمـــــــــــاكِ

(1)جو اهل البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف السيد المرحوم أحمد الهاشمي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 272 : 1960 ، ولم يذكر المؤلف اسم الشاعر ، ولم أعثر على اسم الشاعر في المصادر الأخرى.

(2)شعر إبن القيسراني 275 :

(3)بنظر : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد ابن اسماعيل ، الثعالبي ، النسيابوري ت 429 هـ ، تحقيق وضبط وشرح وتفصيل محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط 2، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 136 / 3 1956

(4)م . ن 136 / 3 : ، وينظر ديوان الشريف المرتضى ، تحقيق رشيد الصفار ، مراجعة ، د : مصطفى جواد ، تقديم محمد رضا الشبيبي ، ط 1 ، دار البلاغة بيروت ، 1998 م 44 / 1 : ومابعدها.

(5)شعر إبن القيسراني 323 : ، ومثل هذا المعنى نجده في هذا الكتاب ص. 337

وهو في هذا البيت ينظر إلى قول قيس بن ذريح ، إذ يقول(1) :

فلما رَمتْني أَقصدَتني بِسَهمِهـــــــــا وأخطأتُها بالسَهْمِ حينَ رميتُ

وبذلك يتضح تأثر إبن القيسراني بقيس بن ذريح في صياغة بيتهِ هذا معنىً ولفظاً وصورة ً ، إذ نجد أن جمالية الصورة الكنائية واضحة في البيتين ، إلاّ أننا نجد ان ضمير المتكلم)الشاعر (سبق ضمير الغائبة المخاطبة) الحبيبة (عند إبن القيسراني بينما نرى ان ضمير الغائبة سبق ضمير المتكلم) الشاعر (عند قيس بن ذريح ، وذلك يعود إلى شخصية إبن القيسراني المتأثرة بالبيئة ومافيها من صور حماسية واضحة في اغلب قصائده الحماسية التي يجسد فيها اصابة اسهم الممدوحين ، وهوهنا أراد ان يخرق المسامع ويكسر التوقع بعدم اصابة سهامهِ هذه ِ المرة على الضد من قيس بن ذريح الذي لم يُشغل بشيء سوى لبنى لذا قدمها على نفسهِ في بيته ِ هذا.

ومن التضمين المتتابع للمثل والشعر ، قوله في الحُبَّ والغزل (2) :

وَعَاذلٍ خَوَّفني من لحظهـــــــا إليكَ عني سبقَ السيفُ العذل

ذاك على سَفْكِ دمي مُحبَّبٌ أنا القتيلُ مُغْرَمٌ بِمَنْ قَتَـــــــــلْ

فهو في الشطر الثاني من البيت الأول يضمن شعره المثل المعروف) سبق َالسيفُ العَذَلْ ((3)

وهو بهذا التضمين رسم صورة كنائية جسدت تمكن الحُب من قلبه حتى عاد العذل والكلام لاينفع.

اما في الشطر الثاني من البيت الثاني فنجد ان الشاعر ينظر الى قول جميل بثينة إذ يقول : (4)

خليلي ّ َ فيما عِشْتُما هل رأَيتُما قتيلاً بكى من حُبَّ قاتلهِ قبلي

(1)قيس ولبنى شعر ودراسة وجمع وتحقيق وشرح ، د . حسين نصّار ، دار مصر للطباعة 69 :

(2)شعر إبن القيسراني 370 : ، 371

(3)جاء في مجمع الامثال)) قال ضبة بن أد لما لامهُ الناس على قتلهِ قاتل ابنه في الحرم ، سبق السيف العذل . ((ينظر مجمع الامثال للميداني ، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط 2، مطبعة السعادة ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، 1959 م 328 / 1 :

(4)ديوان جميل ، جمع وتحقيق وشرح د . حسين نصّار ، ط 2، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، 1967 م 177 :

فأن كليهما جمع المتضادات) القاتل (و) القتيل (في سياق ً منسجم وصورة كنائية تجسد ألم الحب ووجده.

وفي سياق التضمين التشبيهي يستحضر الشاعر الشخصية التاريخية او الادبية ليُدرجها في سياق تشبيهي يحقق دلالة شعرية عميقة ، ومن ذلك قوله في المدح(1) :

وقالوا السَّماحةُ طائِيّةٌ وكَمْ في خُزيمةَ من حاتَمِ

إنهُ يستحضر شخصيتين شخصية حاتم الطائيُ (2) وشخصية خُزيمة بن مدركة بن معد بن عدنان (3) ، ليُحقق بذلك التضمين الشخصي سياقاً تشبيهياً . بين خُزيمة وحاتم ، مما يفضي الى موازنة تشبيهية بين شخصية الممدوح وشخصية حاتم الطائي ، ليحقق معاني المدح من كرم وجود والمتمثلة في شخص الممدوح.

ويتكرر استحضار شخصية حاتم الطائي في تجسيد معاني الكرم ، ومن ذلك قوله في المدح (4) :

وقد بانَ عن لبُنان بَرقٌ كأنَّـــــــــــهُ بياضُ الأيادي أوسنا وجهِ حاتم ِ

ومن التضمين للاقوال المأثورة قوله في المدح(5) :

أذكى الأنام إشارةً وعِبارةً ما المرءُ إلاّقلبُه ولسانُهُ

(1)شعر إبن القيسراني 386 :

(2)حاتم الطائي : هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عدي بن اخزم بن أبي أخزم واسمه هزومة بن ربيعة بن جرول بن عمرو بن الغوث بن طيء ويكنى حاتم أبا سفانه وابا عدي كُني بذلك بأبنتهِ سفانه وهي أكبر ولده وبابنه ِ عدي عدي بن حاتم . ينظر الاغاني مج 6693 / 19 ومابعدها وينظر : الشعر والشعراء ، لأبن قتيبه الدينوري) ت 276 هـ (تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، ط 3، دار التراث العربي ، القاهرة ، 1977 م ز 255 – 247 / 1

(3)ينظر جمهرة انساب العرب : ج 465 / 2

(4)شعر إبن القيسراني 389 :

(5)م . ن 396 :

ففي الشطر الثاني من البيت ينظر الشاعر الى القول المأثور)) انما المرء ُ بأصغريهِ قلبهِ ولسانهِ(1) ((

ومن التضمين تضمين الشخصيات التاريخية التي لها الحضور الواسع والصدى المتميز الذي لاينقطع ومن ذلك قوله في المدح(2) :

وثنى الخطاب ُ إليهِ فَضْلُ فصاحة ٍ لاقُسُّها مِنْهُ ولاسَحْبانُـــــــهُ

فهو في الشطر الثاني من هذا البيت يستحضر شخصيتين شخصية قس بن ساعدة الايادي وهو من خطباء العرب وحكامهم في الجاهلية (3) وشخصية سحبان بن زفر الوائلي ، وهوخطيب بليغ يضرب به المثل في البلاغة (4) ، والشاعر يفيد من استحضار هاتين الشخصيتين ليحقق تشبيهاً يفضي الى دلالات من البيان والبلاغة التي يمتاز بها الممدوح.

وفي مثل هذا التضمين والاستحضار لشخصيتين ، قوله في المدح أيضاً (5) :

مَنْ ذا الذي تَرْهَبُ الأبطالُ صولته ُ زيدُ الفوارس ِ أم سيفُ بن ذي يزن

إذ يستحضر الشاعر في الشطر الثاني شخصيتي زيد الفوارس(6) ، وسيف بن ذي يزن(7) ، ليُجسد شجاعة الممدوح في سياق تشبيهي تصويري.

(1) ينظر : زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحُصري القيرواني ، تحقيق وضبط وشرح علي محمد البجاتوي ، ط 2، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، دار الفكر العربي 7 / 1 :

(2)شعر إبن القيسراني 398 :

(3)قس بن ساعدة الايادي : هو خطيب العرب ونذيرها سمعه النبي) ص (وهو صغير في عكاظ وتحدث بخطبته وكفى بهذا شرفاً ، وقد عمَر َ كثيراً وفي طول عمره إختلاف أقله (380) واكثره (700) وتوفي قبل البعثة . ينظر : البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، تحقيق وشرح حسن السندوبي ، ط 1، المطبعة التجارية الكبرى ، مصر ، 1926 م 50 / 1 :

(4)سحبان بن زفر الوائلي : هو رجل من بني وائل لسن يضرب به المثل في البيان والفصاحة والبلاغة ينظر : صبح الأعشى ، للشيخ أبي العباس القلقشندي ، المطبعة الاميرية ، دار الكتب الخديوية ، القاهرة ،226 / 1 : 1913

(5)شعر إبن القيسراني398 :

(6)زيد الفوارس : هو زيد بن مهلهل المعروف بزيد الخيل ، وقد كأن فارساً في الجاهلية وادرك الاسلام) ينظر : الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الشعب للطباعة ، : 1970 مج(6547 / 18

(7)سيف بن ذي يزن : هو أبن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري) ت 50 ق هـ 574 / م (من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم) . ينظر : قلائد الجمان في شعراء هذا الزمان ، المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان ، كمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي) ت 654 هـ (تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط 1، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2005 م26 / 3 :

ومن التضمين قول إبن القيسراني في الغزل (1) :

حَدَقٌ عِلَّتُها صِحَّتُهـــــــا رُبَّما كان من الدّاء ِ الدَّواءُ

ففي الشطر الثاني من هذا البيت يأتي الشاعر بحكمة يجمع فيها المتضادات ليحقق مفارقة شعرية تجعل من الداءً دواءً ، وهو في هذا المعنى ينظر الى قول أبي نواس في إحدى خمرياتهِ(2) :

دَعْ عَنكَ لومي فأنَّ اللوم َ إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

(1)شعر إبن القيسراني 51 :

(2)ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تحقيق د .بهجت عبد الغفور الحديثي ، ساعدت جامعة بغداد على طبعهِ ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، 74 : 1980

-3أثر الحروب الصليبية في الابداع التصويري في شعر إبن القيسراني.

والمصدر الثالث والمهم الذي نَهلَ منه الشاعر واسهم في نسج صوره ِ هي الحروب الصليبية ، فالشاعر عاش في فترة مليئة بالحروب واضطراب الاوضاع السياسية ، وكل ذلك القى بظلاله على شعرهِ الناطق بتلك الحياة المضطربة ، ولانجد مثل تلك الصور الحربية في قصائده الحماسية والمدحية فحسب ، بل في موضوعاته الاخرى ايضاً ، وكل ذلك يدخله الشاعر في سياق شعري يُجسد انغماس الشاعر بتلك الحياة الحربية المضطربة التي اصبحت جزءاً لايتجزأ من شخصيته ومعيناً لاينضب يغترف منه مثلما يغترف من الطبيعة والثقافة العامة، لذلك آثرنا ان نتتبع تلك الصور الشعرية التي مصدرها الحرب بالفاظها وعناصرها المختلفة.

وينهل الشاعر في كثير من الاحيان من ذلك المصدر الفاعل في نسج الصور الشعرية في مقدمات قصائده المدحية ، متخذاً من ذلك مدخلاً رمزياً فاعلاً ومتوافقاً مع الغرض الشعري ، ويتجسد ذلك في مقدمته الغزلية من قصيدة له يمدح بها الوزير ضياء الدين ويهنئه في الشفاء من مرض ٍ ناله ، إذ يقول (1) :

لا يَغُرَّنّكَ في السيفِ المضاءُ فالظُّبى مانَظَرَتْ منها الظَبـــاءُ

مِرهفاتُ الحَدَّ أمها هَا المَها وقضاها للمُحبين القضاء ُ

حَدَقٌ عِلَّتُها صحَّتُهـــــا رُبمـــــــــا كان من الدَاءِ الدّواءُ

خَّليا بين هَواها ودمي فعلى تلك الدُّمى تجري الدَّمـــاءُ

(1)شعر إبن القيسراني 51 :

فهو يستحضر الالفاظ الحربية كـ) السيف (،) المضاء (،) الظُبى (والظُبى هوجمع الظُبة أي حَد السيف، و) الدماء (، وبعد ذلك يُعرج الى الفاظ قريبة من الفاظ الحروب ، وهي الفاظ الطب ، ولاشك ان التواءم والألتحام واضحٌ بين هذين النوعين من الالفاظ واللذين يشكلان ثنائية متلاحمة ، إذ أن جروح الحرب واوزارها داء ومصاب . لابد من علاجه ، لذا فهو يستحضر الالفاظ) العلة والصحة (و)الداء والدواء (ليُحقق من تلك الالفاظ الطبية المتضادة معاني ودلالات رمزية تفضى الى التلائم بين غرض تهنئة الممدوح بالشفاء وبين السياق المجازي الذي نُظمت فيه هذه الالفاظ ، فضلاً عن ذلك فأننا نجد ان ذلك المشهد التصويري يقوم على اساس الجناس اللفظي الذي اعتمده الشاعر كثيراً في نسج صوره ِ الشعرية وتحقيق دلالات صورية شعرية ، فضلاً عن الأيقاع الشعري المتناغم او المتجانس ، ومن تلك الوسيلة البلاغية المهيمنة المتمثلة) بالجناس (وينطلق الشاعر في بناء سياق مجازي متناسق ، إذ يوظف التشبيه والاستعارة والكناية ويدخلهم في سياق شعري يعتمد النمط الحسي البصري المتجانس ، ويقوم ذلك المشهد التصويري التأملي على مفارقة شعرية يبدأها الشاعر في الشطر الاول من البيت الاول بقولهِ) : لايَغُرَّنك في السيف المضاءُ (ليحقق بتلك المفارقة الشعرية صورة شعرية تعتمد التشبيه غير المباشر في قوله)فالظُبى مانظرت منهُ الظُباء . (إذ يشبه الحسان بالظباء ونظرات عيونهن بالسيف القاطع وذلك التشبيه الكنائي يقوم على مجانسة لفظية تفضي الى تراكمات دلالية وإيقاعية متناسقة. ثم يعود ويفصل في الصورة التشبيهية ليجعل من تلك السيوف حداً مرهفاً صقلته وحدته المها أي المرأة الجميلة العيون ، وتتآلف الثنائيات الضدية في البيت الثالث مع الجناس الفاعل لتحقق صورة شعرية تقوم على مفارقة معنوية فكيف يكون من الداء الدواء ؟ لاشك ان ذلك لايتحقق إلاّ في نظرات تلك العيون المرهفة الحد ، وبعد تلك المفارقة الكنائية يختتم ذلك المشهد الشعري الجمالي في وصف العيون وتصويرها ليفضي الى صورة كنائية مجازية يدعمها ذلك الجناس الفاعل بين) الدُمى (و) الدِماء. (

ويستحضر الشاعر مشاهد الاسر والفتك وهي لاشك من المعاني العالقة في ذهنهِ ومخيلته ، فهو يستحضر الفاظ الأسر والفتك لينسج صورة شعرية تنسجم والغرض أوالمعنى المقول ، ومن ذلك قوله(1):

بَزَّني مَنْ في يدي ما في يدي يا لقومي
أسَرتْني الأُسَراءُ

أو ما تعجبُ مني مالكاً فَتَكَتْ فيهِ عبيدٌ وإماءُ

(1)شعر إبن القيسراني 52 :

تقوم هذه الصورة الكنائية على تراصف الالفاظ الحربية المنبثقة من مشاهد الحرب ومافيها من أسر ٍ ، وسلب ، لتُجسد هذه الالفاظ) بزني ، الأُسراء ، أسرتني ، مالِكاً ، والفتك ، والعبيد (بدلالاتها المجازية مشهداً من مشاهد الحب والخضوع والانقياد للحبيب المتحكم ، وتقوم تلك الصورة الكنائية على مفارقة تصويرية فاعلة يُسهم التكرار اللفظي والجناس اللفظي والكناية الشعرية في تحقيقها ، حتى عادَ مَنْ في يدهِ يُسلبه ما في يده ، وهو المالك تفتك به العبيد والأَماءَ

وتتكرر عنده صورة السلاح ومعدات الحرب ولاسيما السيف فقد شغف الشاعر بصورة السيف أيما شغف إذ ذكره في سياقات وموضوعات شتى ومن ذلك الأبداع التصويري القائم على استحضار العُدد الحربية قوله في المدح(1) :

وإذا ما الملوك ُ خَافَتْ سهام الذَّمْـ ـم ِ زَرَّتْ
عليك درعَ الثَّنـــــاء ِ

عَجبَ النَّاسُ مِنكِ أنك في الحـــــرَ بِ شهابُ
الكتيبةَ الشَّهبـــــاءِ

وكأنّ السيوف من عَزْمِكَ المـــــا ضي أفادتْ
ما عندَها من مضاءِ

ان الالفاظ) السهام ، درع ، الشهاب ، الكتيبة ، السيوف ، العزم ، الماضي ، المضاء (كلها الفاظ مشتقة من معجم الفاظ الحرب يضعها الشاعر في تراصف واحد ليحقق سياقاً مجازياً شعرياً يفضي الى رسم صورة شعرية تجسد صفات الممدوح ، فلأستعارة المكنية المتحققة في البيت الاول بقوله) سهام الذمم (و) درع الثناء (، اسهمت في اضفاء الصفات الكريمة على الممدوح والتي يخبرها الملوك جميعاً ، ويحقق الجناس اللفظي بين) شهاب (و)الشهباء (، وقعاً دلالياً وايقاعياً فاعلاً في رسم صور الشجاعة والاستبسال والاقدام الماثلة في شخص الممدوح ، وبعد أن يستحضر السهام ، والدرع ، والكتيبة ، يعرج الى السيف لينسج صورة شعرية تشبيهية تقوم على قلب طرفي التشبيه ليقول وبأسلوب مجازي تشخيصي فاعل أن السيوف أحتذت بك واقتدت بمضائك وعزمك الماضي فأفادت من ذلك المضي والاقدام حتى شابهتك في إقدامها ، وشبيه بتلك الصورة الشعرية للسيف والموازنة القائمة بين السيف ومضائه والممدوح وعزيمته واستبساله، ماقاله في موضعٍ آخر وهويمدح (2) :

هذي العزائِمُ لاماتدعي القُضُبُ وذي المكارِمُ لاماقالت الكُتُبُ

(1)شعر إبن القيسراني 60:

(2)م . ن69 :

ان الدلالة الاستعارية التشخيصية حققت موازنة شعرية تفضي الى أعمق معاني المدح والمتمثلة بالشجاعة والاستبسال الكبير.

بل أن المشاهد الحربية وصور الحرب والمعركة تُعد وثائق تأريخية تنقل لنا احداث الحرب وكأننا في ساحة الوغى ، وبصورٍ حركية يجسدها الايقاع الصوتي والحرفي الشديد الوقع ، ومن تلك المشاهد الحربية المتتابعة قوله في المدح وتصوير شجاعة الممدوح في ساحات الوغى(1) :

وكَمْ لَهُ من وقعة ٍ يَوْمُهـــــــــــــا عِندَ ملوك ٍ الشَّرْك ٍ مَشهودُ

والقومُ إما مُرْهَقٌ صُرْعَـــــةٌ أو موثَقٌ بالقدَّ مَشـــــدودُ

حتى إذا عادوا إلى مثلهـــــــــا قالتْ لَهُم هَيْبَتُهُ : عُودوا

طالِبْ بثأرٍ ضمِنَتْهُ الظُّبى فكُلُّ
مأيضْمَـــــــنُ مَرْدودُ

والكَرُّ والفَرُّ سِجالُ الوغى فطـــــارِدٌ
طوراً ومطرودٌ

إنه يوظف في هذه الابيات الحماسية الحربية الفاظ الحرب مثل) وقعة (،) موثق (،) الظبى (،) الكَرُّ (،) الفَرُّ (ليحقق من تلك الالفاظ صوراً شعرية في سياقات نصية حركية تجسد بطولة الممدوح وصولاته ضد الاعداء.

ومن الصور الحربية قوله في المدح(2) :

حتى إذا إستطار َ شرارُ الزَّنْدِ قادِحُهُ

فالحربُ
تُضْرَمُ والآجالُ تحتَطِبُ

(1)شعر إبن القيسراني156 :

(2)م . ن 70 : ، 71

إذ يُسهم التجسيم الصوري المتحقق بالأَستعارة المكنية في رسم صورة حربية تقوم على تجسيد صورة النار والحطب تلك الصورة الشعرية التشبيهية التي تقوم على الدمار والهلاك ليُحقق بتلك الصورة موازنة تشبيهية شعرية بين عمل الحرب التي هي النار وعمل الموت)الأجل (الذي يحتطب في تلك النار المجازية.وتتعدد الرؤى التصويرية والمعاني المتعددة والألوان المختلفة التي يرسمها الشاعر للسيف إذ يقول في المدح (1) :

طَهَّرْتَ أرض العادي من دمائِهمُ طهارة ً كُلُّ
سيفٍ عندها جُنُبُ

فهو يرسم في الشطر الثاني من البيت صورة شعرية تؤكد المعنى التقريري الذي قاله في الشطر الاول من البيت إذ يقول) طَهَّرْتَ أرض الاعادي من دمائهم طهارة (فهو يأتي بالفعل والمفعول المطلق لتوكيده ، ولكنه لم يكتف بذلك التصوير التقريري المباشر بل هو يعمد الى اسلوبية الفصل وفي سياق مجازي يحقق المعنى ويؤكده بقوله) كُلُّ سيفٍ عندها جُنُبُ (فهو يطهر الارض ثم يطهر السيوف

وما أروع الصورة الحركية الحماسية التي يبرز فيها التجسيم الصوري الذي تنسجه الاستعارة المكنية لتحقيق صورة شعرية حماسية وذلك يتجلى واضحاً في قوله وهو يصف شجاعة الممدوح وبسالته(2) :

والسيفُ هامٍ على هامٍ بمعركة ٍ لا البيضُ ذو ذمةٍ
فيها ولا الَيلبُ

وتستمر الصور الحربية التشخيصية التجسيمية الفاعلة حتى نراه ينسج صورة شعرية تعتمد حاسة الذوق إذ يقول(3) :

وللظُبى ظفرٌ حلوٌ مذاقتـــــــــهُ كأنما الضَّرْبُ
فيما بينَهُم ضَرْبُ

لقد اسهمت الاستعارة المكنية مع التشبيه هنا في نسج صورة شعرية تجسيمية ، ذوقية َ تجسد حلاوة النصر المتحقق بالظُبى وهو حد السيف ، حتى يغدو ضرب الاعداء نوعاً من العسل الابيض . ولاشك ان الجناس اللفظي وتكرار صوت الظاء والظاد مع الباء اسهم في توليد جواً ايقاعياً ودلالياً ينسجم والغرض المقول.

(1)**شعر إبن القيسراني** 71 :

(2)م .ن 71 :

(3)م . ن 72 :

وتستمر تلك المشاهد الوصفية في قوله من القصيدة نفسها (1) :

وللأ سنَةِ عما في صدورهـــــــم مصادرٌ
أقلوبٌ تلك أم قُلـــــبُ

خانوا فخانَتْ رماح الطعنِ أيدَيهمُ فأستسلموا
وهي لانبعٌ ولاغَرَبُ

وبذلك نجد أن للأداة الحربية) السيف ، الرُّمح ، القناة ، السهام..... وغيرها (

الحضور الواضح في الصورة الحربية في شعر إبن القيسراني.

وتتولد عناصر الابداع الشعري في صوره الحربية ومشاهده الحربية الوصفية المتعددة،ومن ذلك قوله (2) :

يُعَدُّ مَضاءٌ في الظُبى لا وضربـــــــــــــــهُ
بها قُلَلَ الأعداء ِ مالسيف ضربُهُ

مَكينُ الحجا ، أرضى الزمان َ بنفسه ِ إلى
الآن حتى لانَ وانقادَ صَعْبُـــــــــهُ

حمى قُبَّة الأسلام بالخْيل فأغتـــــــــــدت
وأوتاد ُها جُرْدُ الطعان ِ وقُبَّـــــــهُ

فكم هَبَوة ٍ أوقَعْنَ بالكُفَرِ تحتهـــــــــــــا
فما انقَشَعَتْ إلاّ وللذُلَّ جَنبْـــــهُ

كيوم ِ الرُّهاَ الوَرهاءِ والهام ُ يانِـــــــــــعُ
مَليءٌ برعي الهُندوانَّي خِصْبـــــــــهُ

وشهباءَ هاجَتْها وغىً صرخديـــــــــةٌ
وليلُ الحرب ِ تنقضُ شُهبـــــــــــهُ

(1)شعر إبن القيسراني 72 :

(2)م . ن 76 : ، 77

ولاشك ان في تلك الصور الحربية الوصفية ابداعٌ متميز إذ وظف الشاعر الالفاظ الحربية وادخلها في سياق مجازي اعتمد فيه الاستعارة المكنية فضلاً عن الكناية ، وفي هذه الصور تداخلت صورة البطل) الممدوح (مع صورة السلاح حتى عُدَّ الممدوح سلاحاً ماضياً فهو في البيت الاول حدٌ للسيف الذي يضرب رؤوس الاعداء ضرباً يفوق ضرب السيف ، ثم يُجسم صورة الزمان حتى يجعله يلين بيد الممدوح ، وهويجعل للاسلام قُبة يحميها الممدوح بالخيل حتى غدت أوتادها خيلاً ضوامر فما أروع تلك الصورة الاستعارية التشبيهية التجسيمية .

ويأتي الشاعر بـ) كم (الخبرية ليحقق السرمدية الزمانية المتتابعة لأنتصارات العدو والذي يكني عنها بـ) الهبوة (أي الغبرة وهي اشارة واضحة وجلية الى غبار المعركة التي بات الممدوح معروفاً بها . ثم يتداخل العنصر المكاني مع تلك السرمدية الزمانية لتكون شواهد واضحة على إنتصارات الممدوح فيذكر الشاعر) الرها (والرهاء هي مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام كانت شاهد عيان على صولات العدو والشاعر يأتي) بالكاف (التشبيهية ليضرب مثلاً واحداً من أمثلة متعددة تجسد شجاعة الممدوح وبسالته ، ثم يأتي بالجناس اللفظي ليقول) الرها الورهاء (أي المدينة الحمقاء التي لم تَدْرُكْ حقاً من الممدوح الذي تحتويه اركانها ولاشك ان ذلك الجناس حقق إبداعاً دلالياً وموسيقياً فاعلاً ، مما اسهم في التناغم الصوتي المتجانس ومما يميز تلك البنية الزمانية المكانية انتصار الممدوح الذي تجسد في الهامات اليانعة ، ثم يأتي العنصر المكاني الآخر وهو) صرخدية (وهي نسبة الى صرخدية قلعة حصينة في دمشق ، شهدت كثيراً صولات الممدوح ضد الاعداء.

ووجدنا أن ادوات الحرب عناصر فاعلة تترأس الصور الحربية ثم تشتق منها الجزيئات والعناصر الاخرى الفاعلة والمتميزة في رسم الصور والمشاهد الحربية ، والشاعر ويتفنن في رسم صور السيوف الملطخة بالدماء ، ومن ذلك قوله(1) :

وعاصَى على العاصي بأَرْعَنَ خاطبٍ
دمَ الأَفكِ حتى أنكحَ النَّصْلَ خَطْبهُ

إنه في هذا المشهد الوصفي يحدد المكان وهو نهر) العاصي (ولاشك ان ذلك شيءٌ متميز في الصور الحربية الحماسية في شعر إبن القيسراني والتي يغلب عليها الأداء القصصي لذا نراه يستحضر العناصر القصصية من زمان ومكان واحداث وشخوص ، وهوهنا يجُانس بين اللفظ المكاني وفعل الممدوح المتمثل بـ) عاصى (أي امتنع عن التوقف عن مضاربة الاعداء بالسيوف وهو على نهر العاصي ولاشك ان للفظتين تناغماً صوتياً ودلالياً فاعلاً فالتشابه قائمٌ بين اللفظتين صوتاً ودلالة وذلك يتمثل في التجانس الحركي بين حركة الممدوح العنيفة في مقارعة الاعداء وبين حركة الماء العنيفة في نهر العاصي ، وكلاهما تتجسدان صوتاً وايقاعاً عنيفاً في اجتماع حرفي العين والصاد ، والشاعر يضفي التشخيص على صورة السيف ليحقق صورة شعرية تجسد انتصار الممدوح على الأعداء.

(1)**شعر إبن القيسراني** 78 :

وهويستمر في عرض تلك الصور الحربية الحماسية إذ يقول في وصف شجاعة الممدوح في النيل من الأعداء(1) :

غداةَ هوى شطرين : للسّيف ِ رأسُهُ
وللرُّمح ِ حتى تَوَّجَ الرَأسَ قلبُـــهُ

على حين للخَطيَّ فيه عوامــلٌ يُعاقِبُهُ خَفضُ الحسُام ونَصْبُـــهُ

وقائِعُ محمودِيةٌ النصِـــــــــر لم تَزل ْ غريباً بها عن موطن السَيف غَرْبُـهُ

يقوم مقامَ الجيش ِ فيها وعيـــدُهُ ويفعَلُ أفعال َ الكتائب كُتبـــــــهُ

وحتى انْتَضَتْهُ عَزمَةٌ مِن قرابـــــه ِ مضى وهو نصلٌ والممالك قُرْبُـــــهُ

الى أن دَعَتْهُ ربَّها كُلُّ بَلـــــــــدَةٍ فليسَمن الأمصار ِ ما لا يُربُّـــــــــه

ولما نزا بالقُمْصَ عُجبٌ هوى بهِ على أُمّ رأس البغي والغدر ُعُجُبُـــــهُ

فأصبحَ في الحِجْليْن يُنكرُ خَطْوَه بعيدٌ على الرجلين في السعي قُرْبُهُ

تُعاقِبهُ البُشرى بأخذ حُصونهِ فيا عانياً ضَرْبُ البَشَائِر ضَرْبُـــهُ

تُناجي عَزازٌ بأسمهِ تلَّ باشِـــرِ فيلعَنَهُ لعن الصَريخ ِ وسَبُّـــــــــهُ

فأن يَكُن المقهور ُ مَن ْ ثُلَّ عَرْشُـــهُ فهذا عمود الكُفِرقد طاح َ طُنُبُـــه

(1)شعر إبن القيسراني78 :

فهو في البيت الأول يُفَصَّل في صورة العدو القتيل واسلحة الممدوح تتقاسم جسده وتتبارى عليه . ولاشك ان هذه ِ الصورة هي صورة حركية تجسد سرعة الاسلحة ودقتها الزمنية وتخصصها في النيل من الاعداء ففي حين يُخصص السيف لقطع الرأس يأتي الرمح وبسرعة حركية مستقيمة لينال من القلب ويلتقي الفعلان فعل السيف وفعل الرمح حين يتوج

الرأس بقلب العدو ، ولاشك ان تلك الصورة الشعرية تحمل دلالة كنائية واضحة تجسد خوف العدو من اسلحة الممدوح إذ يموت قلبه خوفاً ورُعباً قبل ان يموت جسده بالرمح.

ويستمر في الموازنة بين الرُّمح والسيف لشغفه بهما كونهما عاملان مهمان في النيل من الاعداء وانتصار الممدوح . ثم يُعرج الى الممدوح ليجعله أقوى من سيفهِ حتى ينسج في البيت الخامس صورة تشبيهية استعارية تشخيصية يجسد فيها شجاعة الممدوح الذي غدا سيفاً والممالك التي حوله غمده ويستمر وبأسلوب قصصي ليرسم المشاهد الوصفية المتتابعة حتى يصور وبأسلوب تشخيصي الاماكن وهي تتحاور مع بعضها في استذكار وقعاته وصولاته فيها وذلك مانراه في البيت العاشر في استحضار الشاعر للأماكن) عَزاز ، وتل باشر (وهي أماكن في شمال حلب ويستمر في ذلك الاستحضار المكاني في البيت الأخير حتى يجعل من الاعداء عموداً للكفر قد مُزق حبله ، ولاشك ان تلك الاستعارة المكنية التجسيمية جسدت خسارة الاعداء وانهزامهم امام الممدوح. وكما اسلفنا القول ان مفردة)الظُبى (وهي حد السيف يستحضرها الشاعر ليس في الاغراض الحماسية فحسب ، بل حتى في غزله ِ الرقيق ، وذلك ما نراه في استحضاره لحاستي البصر والذوق وبأسلوب متوازن رقيق المعنى ، إذ يقول (1) :

إذا كانت الاحداقُ نوعاً من الظُّبى فلاشك ان
اللحظَ ضربٌ من الضَّرْبِ

فأن الاستعارة التصريحية في الشطر الأول جعلت من الاحداق نوعاً من انواع السيوف الحادة لبيان فاعليتها واثرها في المُحب والمُتيم ، أما الألحاظ فهي نوع من أنواع العسل ، ولاشك ان الجناس بين الالفاظ) ضَربٌ الضرب (حقق تجانساً ايقاعياً ودلالياً متميزاً.

وتتضمن المشاهد الحربية الحماسية معاني التحذير والهجاء للعدو وبأسلوب قصصي تتضمنه الاساليب المجازية والتقريرية ، ومن ذلك قوله(2) :

أترى الرُّها الوَرْهاءَ يومَ تمنعَّــتْ ظَنَّتْ وجُوبَ السُّور
ِ سَوْرةَ لاعِبِ

فتحَ الضّرامُ المُصطلي لعُلوجهـــا باباً الى جَمْر ِ
الجحيم ِ الذّاهـــــبِ

(1)شعر إبن القيسراني100 :

(2)م . ن104 :

وبعد ذلك يقول في وصف هزيمة الاعداء (1) :

لا أين َ يا أسرى المهالك ِ بعدها ضاق َ الفضاء ُ على نجاة ِ الهاربِ

شداً الى أرض الفرنجة بعدها ان الدُّروب على الطريق اللاّحِبِ

أفغَركُم والثأرُ رَهْنُ دِمائِكُمْ ما كان َ مِن إطراق ِ لَحْظِ الطالبِ؟!

فهو يبدأ أبياته بهجاء المدينة الحمقاء التي حررها الممدوح من أيدي الاعداء ، إذ يصفها وصفاً تشخيصياً.بجناس لفظي متجانس فضلاً عن الاستعارة المكنية ليحقق وصفاً ساخراً أو هجاء ً ساخراً لهذه المدينة ، وبذلك نرى ان للمكان الحضور الواسع والمتميز في مشاهد الحرب.

وفي المقطع الثاني يصف هزيمة الاعداء وصفاً تقريرياً حركياً يجسد جُبن الاعداء واندحارهم.

ولاشك ان ذكر الشاعر للوقائع الحربية والاماكن المتعددة يدل على مطالسته ِ للأحداث ، وثقافته الواسعة ، فضلاً عن ذلك فأن الشاعر عُني بتوليد المعاني الجزئية من المعنى الشامل ،إذ نجد عنده أدق الصور وأعمقها ومن ذلك قوله في المدح(2) :

وهل أنت َ إلاّ السيف في كُلَّ حالةٍ فطوراً لَهُ حَدٌّ وطوراً لَهُ صَـــدْحُ

سَقيْتَ الرُّدينات حتى رَدَدتْهـــــا ترَنَّحُ من سُكرِ فخَلَّ القنا تصحـــو

وما كان كَفُ العَزْمِ إلاّ إشـــــارة ً إلى الحَزمِ لو لم يغضب السيفُ والرَّمْحُ

فهو يوظف الاستثناء المفرغ ليقصر صورة السيف في كل حالاته على الممدوح ، وبذلك يتحول التشبيه الى أصل فهو هذه ِ المرة لم يشُبه الممدوح بالسيف بل يجعله هو ، وبتلك الصورة التشخيصية يجعل للسيف صدحاً وصوتاً مميزاً فضلاً عن حَدَّه الصقيل ولاشك ان تلك الصورة البصرية السمعية للسيف هي صورته في ساحات الوغى حيث صليل السيوف وحدة وقعها.

(1)**شعر إبن القيسراني**104 :

(2)م . ن 133 :

وبعد ذلك يقول في القصيدة نفسها (1) :

إذا مادمشق ملكتك عنانهـــــــــــــــا تيقَّن
مِنْ في إيليا إنهُ الذَّبْـــــــــــــــحُ

متى إلتفَّ نقع الجحفلين على الهُدى فلا
مَهْمَةٌ يحوي الضَّلال ولاسَفْـــحُ

إذا سار َ نور الدين في الجيش غازيـــــــــــاً
فقولا للَيْلِ الأَفْكِ قد طلع َ الصُّبْـــحُ

تركت قلوب الشَّرْك ِ تشكو جراحهـــــــــا فلا
زالت الشكوى ولا أندملِ الجُرْحُ

صَبرت َ فكان الصَّبْرُ خيرَ مغَبـــــــــــــةٍ
فَسُقْ إليكَ المُلكُ يسعى بهِ النُّجَـــحُ

فهو في هذا المقطع يجسد انتصارات الممدوح نور الدين وسطوته وشجاعته التي عمت بلاد الشام بأكملها ، ثم يكنى عن المعركة التي يُدحض فيها الاعداء بـ) نقع الجحفلين (، ويكني عن الاعداء بقلوب الشرك التي لاتزول شكواهم ابداً ولايندمل جرحهم لخسارتهم الأزلية امام الممدوح وجيشه.

ومن الصور الحربية ايضاً ، قوله (2) :

هو السيَّفُ لايُغنيـــــــك َ إلاّ جلادُه وهل
طوَّقَ الاملاك َ إلاّنجـــــــادُهُ

وعن ثغر هذا النصر فلتأخذ الظُبى سناها
وإن فات َ العيون َ إتقـــــــادُهُ

(1)شعر إبن القيسراني 133 : ،134

(2)م . ن148 :

فالممدوح هو السيف المضارب الذي يطوق الاملاك بنجاده ولاشك ان تلك الصورة التشبيهية التشخيصية هي دأب الشاعر ، ولكنه يُفَصَّل فيها حين يقول ان السيوف تأخذ سناها وحدتها من ثغر نصر الممدوح ، فبتلك الصورة الاستعارية التجسيمية التي حققها الشاعر بالاستعارة المكنية استطاع ان يحقق الابداع الصوري المتميز.

ولاشك ان الممدوح هو المهمين الاساس في قلب المعركة ، إذ يقول في وصفه (1) :

كأن سنا لمعُ الا سنة ِ حوله شرارٌ ولكن في يديه ِ زنادَهُ

فالصورة التشبهية التي تصور ساحة المعركة ومافيها من لمع الاسنة التي تُشبه الشرار جسدت شجاعة الممدوح ولاشك ان حرف الاستدراك) لكن (وتقديم خبرها على اسمها اسهم في إثراء الدلالة النصية وفق سياق شعري متجانس.

ثم يقول في صورة شعرية اخرى وهو يصف هامات الاعداء على السيوف ويشبهها بالنبات الذي حان حصاده(2) :

غداة كأن الهامَ في كُلَّ قَوْنَـــــــس ٍ كمائِمُ نَبْتٍ بالسَّيوف ِ حَصَادُهُ

فهو ينتقي الالفاظ الدالة دلالة شعرية عميقة ليضعها في سياق شعري مُتجانس فالمشبه به يشير إلى المرحلة الاولى من مراحل نمو النبات وتفتحه، وتلك إشارة فاعلة تُجسد عمق الدلالة المعنوية التي تضفي على الممدوح أبلغ واعمق معاني الشجاعة فهو ينال من الشباب الذين في ينعان شبابهم وقوتهم وتلك شجاعة مابعدها شجاعة. ونراه يبدع في رسم صورة السيف المحارب بدلالة ذوقية فاعلة إذ يقول في احدى مدائحهِ(3):

تَرْتَشِفُ الأفواه َ أسيافُهُ إن رضابَ العِزَّ مَوْرودُ

فهو يحقق صورة شعرية ذوقية يعتمد في صياغتها على الاستعارة المكنية التشخيصية ليُحقق ظمأ اسيافه لدماء الاعداء حيث رضاب العِزَّ المورود.

(1)**شعر إبن القيسراني**149 :

(2)م . ن149 :

(3) م . ن156 :

وقد شُغف إبن القيسراني في إضفاء الابعاد التشخيصية والتجسيمية على صور الحرب واسلحة الحرب ، ومن ذلك ماقاله في وصف ومدح نور الدين زنكي في إحدى معاركه(1) :

تفي بِضَمانِها البِيَضُ الحِدادُ وتَقْضي دَيْنَها السُّمْرُ الصَّعادُ

فهو يوظف الفاظ التجارة مثل) الضمان (و)الدين (في سياق شعري متجانس مع الفاظ الحرب) البيض الحدادُ (و) السمر الصَّعادُ (ليُحقق صورة إستعارية تشخيصية تجسد هيمنة سلاح الممدوح على الأعداء وصولاته في ساحات الوغى إذ ان سلاح الممدوح يتأهب ويستعد قبل الممدوح.

ونراه يتخذ من النجيع وهودم جوف الاعداء وسيلة واداة فاعلة في رسم صورة تشخيصية توثق صورة المعركة توثيقاً تأريخياً حين تغدو للعوالي اقلام ٌ تكتب النصر ، إذ يقول(2) :

جَرَتْ بالنَّصْرِ أقلام ُ العـــوالي وليسَ سوى النَّحْيع ِ لها مدادُ

وطالت ْ أرؤسُ الأعلاجِ خِصْباً فنادى السَّيفُ قد وقَع الحَصاد ُ

وتلتحم عناصر الصورة البصرية مع السمعية في صورة تشخيصية حركية تجسد وقع صليل السيوف التي تنادي بالحصاد المؤزر بأنتصار الممدوح على أعدائهِ وبذلك نجد ان الاستعارة المكنية المتحققة في هذا النص اسهمت في تفتيق أكمام المعاني الشعرية.

وينطق إبن القيسراني بصور هجائية ساخرة ليُجسد خسارة الاعداء وضعفهم امام الممدوح ومن ذلك قوله(3) :

وللأَبرنْزِ فوقَ الرُّمح ِ رأسٌ تُوَسَّدُ ، والسَّنانُ لَهُ وِسادُ

تَرجَّلَ للسلام ففرســـوه ُ وليسَ سوى القناة ِ لَهُ جَوادُ

(1)شعر إبن القيسراني 158 :

(2)م . ن158 :

(3)م . ن158 :

إذ يأتي الشاعر بأستعارات تصريحية تجسد صوراً هجائية ساخرة للعدو وخسارته الفادحة.

وللحرب والفاظها حضور ٌ في قصيدة الغزل عند إبن القيسراني الذي يرى من الجمال اداة توشك القضاء على مَنْ يصادفها ، فيكون له وقع السيوف والرماح ، ومن ذلك قوله(1) :

يذودُ الظُّبى عَنْهُنَّ والحَدَقُ الصَّيْدُ أمُرْهَفَةٌ بيضٌ ومُرهَفَةٌ سُودُ ؟!

على أن أوحاهُنَّ فتكـــــاً صورامٌ صيا قلُها أجفانُها والمَراويـــــدُ

فلا جسمٌ إلاّ بالبواتِرِ مُقْصَـــــــــدٌ ولاقلبٌ إلاّ بالنّواظِر مقصـــــود ُ

وما البارِقاتُ الرَّاعِداتُ عواصفٌ بِهَمَّي لولا المُبِرْقاتُ الرَّعاديـــــدُ

يأتي إبن القيسراني في هذه الابيات بصور ٍ تشبيهية يحذف منها اداة التشبيه ليحقق عمقاً شعرياً ، يتمثل بالمقاربة التشبيهية الصورية بين المشبه والمشبه به ، فتغدو الاحداق سيوفاً قاطعة ، والاجفان والمراويد وهي جمع المرود وهو الميل الذي تكتحل به الفتاة ، صياقل للسيوف ، ويستمر في وصف تلك العناصر الغزلية ووضعها في سياق تشبيهي مع عناصر الحرب ليحقق مشهداً غزلياً شعرياً رقيقاً.

وما أروع المشابهة او الموازنة بين عيون المرأة وحركة أجفانها في الرَّمْش وبين السيف وهو في غمده ٍ ، فتكون الاجفان غمداً للعيون التي لها وقع السيوف ، ومن ذلك قوله(2) :

وَيْقطَعُ فيَّ الطَّرْفُ ، والطَّرْفُ فاتِـــــرٌ فَقُلْ في
مَضاءِ السَّيْفُ والسيّفُ مَغْمودُ

ان التشبيه الضمني المتحقق في الشطر الثاني أسهم في إثراء المعنى الغزلي وتحقيق مفارقة صورية تفضي الى بيان أثر تلك العيون التي فاقت وقع السيوف ، فالسيوف تفتك دون غِمدْها ، ولكن تلك العيون تفتك وهي مغمدة ، ولاشك ان تلك الصورة بمفارقتها الشعرية تحقق إبداعاً تصويرياً وشعرياً متميزاً.

(1)شعر إبن القيسراني159 :

(2)م . ن160 :

ومثل هذا التصوير الشعري ، قوله في وصف عيون الحبيبه(1) :

صوارِمٌ قاطِعَةٌ في الجُفو ن فهي
مُجَّرَدَةٌ مُغمدُةْ

ويبدو ان الشاعر قد شُغف َ في الموازنة بين العيون واجفانها ، والسيف وغمده ، إذ يقول: (2)

نَبَتْ الجفُونُ فما أغتَمَضْنَ وإنما حقُّ السُّيوفِ
إذا نَبَتْ أن تُغْمدا

لقد كان للجناس اللفظي بين اللفظتين) نَبَتْ (و)نَبَتْ (دوراً فاعلاً في إضفاء العمق التشبيهي بين العيون والسيوف اذ تشير اللفظة الاولى الى ابتعاد الجفنين عن بعضهما في السُهاد والأرق الذي يُصاحِبْ المُحب ، بينما تشير اللفظة الثانية الى تعب السيوف فيجب أن تُغَمْد ولاشك ان هذه الصورة تجسد أرق المُحب الذي لم تغتمض أجفانه بسب عيون الحبيبة التي هي كالسيف القاطع الذي لم يُغمْد.

ونراه يُخاطب الممدوح خطاباً ندائياً ليصف صولاته وحربه الضروس إذ يقول(3) :

يا أيُّها المَلِكُ المُطِيـــــــــلُ نجادهُ بَرٌّ يدينُ
بهديـــــــهِ الأَبـــــرارُ

يا أبنَ السيوفِ وهل فخرتَ بنسبة ٍ إلاّ سما بِكَ
قائِـــــــمٌ وغِرارُ

فارقت َ دارَ المُلكِ غيـــرَ مُفارقِ لك من عُلاك
بكُــلَّ أرض دارُ

في عسكر ٍ يُخفي كواكب َ لَيْلِـــــهِ نَقْعٌ
فيُطلُعها القِنا الخَطـــــارُ

جَرارُ أذيال العجـــــــاج ِ وراءَهُ وأمامَهُ ،
بِكَ جَحْفَلٌ جـــرارُ

(1)شعر إبن القيسراني171 :

(2) م . ن 172 :

(3)م . ن 199 : ، 200

ان هذا الوصف هو وصف تقريري لمعركة يخوضها الممدوح وهو يجسد تلك المعركة تجسيداً حياً حركياً ، وإن افتقر َ الى الاساليب المجازية.

وكما اسلفنا القول ، فقد شغُفَ إبن القيسراني في التداخل الصوري بين السيف والممدوح او السيف والجيش القاتل حتى يغدو الجيش سيوفاً قاطعة سيوفاً لاتُغمد فهي في حالة تأهب مستمر ، إذ يقول في وصف جيش الممدوح (1) :

وأينَ ينجو ملوكُ الشَّرْك ِ من مَلـــــــكٍ من
خيلهِ النَّصْرُ ، لابَلْ جُندُه القَدَم ِ

سلوا سيوفاً كأغمادِ السُّيوف ِ ، بها صالوا فما
غمدوا نصلاً ولاشَهَروا

حتى إذا ماعماد ُ الدين أرهقهُـــــــمُ في مأزقِ
من سناهُ يَبرقُ البَصَـــــــــرُ

ومن الصور التجسيمية التي تجسد مهابة الممدوحقبل بطشهِ ، قول الشاعر(2) :

مِلِكٌ مهابَتُهُ طليعتَـــــــــــــــهُ
أبداً أمام َ جيوشهِ تسْري
كَمْ فَلَّ كيدَهُمُ بصاعِقـــــــةٍ شَغَلتْ قلوبَهم
عن الفِكْـــرِ
تركتْ حصونهم سجونهـــم فالقومُ قبلَ الأسْرِ
في أسْـــــــــرِ
عصَمَ العَواصِ ِمَ فهي ضاحكةٌ تجلو الظّبى
ثغراً على الثَغْـــــــر ِ
وإذا سرايا خَيْلِهِ قَفلَـــــــتْ نهضَتْ سَرايا
الخوفِ والذُّكْر ِ
ورمى القِلاعَ بمِثلِ جَنْدَلِهـــــــا حتى استكان َ
الصَّخْرُ بالصَخْرِ

(1)شعر إبن القيسراني 207 :
(2)م . ن 228 :

وهذه الابيات يجسد فيها الشاعر الصفات المعنوية الماثلة في شخص نور الدين زنكي ، اذ يرسم صوراً تجسيمية يعتمد في رسمها على الاستعارة المكنية وماتحمله من طاقات إيحائية ودلالية عميقة ومكثفة ، وتتعدد تلك الصور الاستعارية المكنية لتحقق مهابة الممدوح حتى تسير قبله سرايا الخوف والذكر. ويبقى الشاعر ولعاً بصورة السيف ، فهو يدخله في سياقات مختلفة تحقق رؤى شعرية جديدة ، ومن ذلك ماقاله في الشيب والشباب (1) :

تقضى الصَّبا إلاَّ تذكُّرَ ما مضى وإلاّ سُؤالاً
عن زمان ٍ تَسَلَّفـــــاَ

وإلاّ شباباً فَلَّلُ الشَيْبُ حَـــــــــدَّهُ إذا ماهَفا نحو
التصابي تلهفـــــا

ففي البيت الثاني صورة طريفة جسدها الشاعر بالآستعارة المكنية التي تجعل من الشباب سيفاً ثـُلَّ حَدُّه بالشيب ، ولاشك ان ذلك التجسيم الاستعاري ماهو إلاّاشارة للتشابه المعنوي بين قوة السيف وقوة الشباب ، ولاشك ان السيف الذي يُثلم تخزف قوته ، كما يُخرق الشباب بالشيب.

ونجد ان صورة الأسر ايضاً من الصور الحربية الملازمة لمخيلة الشاعر ، حتى نراه يوظفها في معاني الوجد الغزلي ، إذ يقول(2) :

قد مَلكْتُك قلبي وسَرَّحْتُمُ جِسْـ ـمي فَواهاً أنا الاسيُر الطَّليقُ

ولاشك ان الكناية التي تحملها الثنائية الضدية) الاسير الطليق (تسهم في إثراء معاني الحب والوجد وتعمقها. وهويصور نظرة الحبيب تصويراً تشبيهياً مُنبثقاً من صورة السهم والقوس إذ يقول (3) :

رماني بَسَهمَيْنِ من ناظِرَيْـــــــــ ـنِ عن مَتْنِ قوسَيْن ِ من حاجبين

(1)**شعر إبن القيسراني**293 :

(2)م . ن304 :

(3)م . ن409:

الخاتمـــــــــــة

خَلُصَّ البحث الى نتائج مهمة ، وهي :

-1انعكست البيئة الساحلية التي نشأ بها إبن القيسراني على مخيلته ِ الشعرية التي انبثقت عنها اروع الصور الشعرية.

-2كان لثنائية الماء واللون الحضور الواسع والمهيمن في تشكيل الصورة الشعرية، كونها المصدر المهم والفاعل الذي نُسجتَ منه الصور الشعرية في شعر إبن القيسراني ، فضلاً عن المصادر الطبيعية الأخرى.

-3كان للاقتباس والتضمين نصيب واضح وملموس في رسم الصورة الشعرية في شعره، فضلاً عما تركته الحروب الصليبية من اثر فاعل وملموس في صورهِ الشعرية.

-4كانت الوسائل البلاغية تعمل مجتمعة ً في تشكيل الصورة الشعرية في شعر ابن القيسراني، ولاسيما التشبيه والاستعارة والجناس، وكان للاستعارة المكنية وما اضفته من رؤىً تشخيصية وتجسيمية، الاثر الواضح والمتميز في الصور الشعرية في شعرهِ، كل ذلك اضفى تجانساً دلالياً وايقاعياً متميزاً اسهم في الابداع الشعري التصويري.

جريدة المظـــــــــــان

-1القرآن الكريم

-2الأغاني ، لأبي الفرج الاصبهاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الشعب للطباعة ، 1970 م.

-3إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية ، علي بن برهان الحلبي الشافعي ، د . ط ، مطبعة مصطفى محمد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، د . ت.

-4الأيضاح في علوم البلاغة ، صنعة الشيخ العلامة الخطيب القزويني) ت 379 هـ (، تحقيق د . رحاب عكاوي ، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،2000 م.

-5البديع في نقد الشعر ، أسامة بن مُنقذ ، تحقيق د . أحمد بدوي ، د. حامد عبد المجيد ، مراجعة إبراهيم مصطفى ، شركة ، ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ،. 1960

-6البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، تحقيق وشرح حسن السندوبي ، ط 1، المطبعة التجارية الكبرى ، مصر ، 1926 م.

-7جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف للطباعة ، مصر ، 1962 م.

-8جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، تأليف السيد المرحوم أحمد الهاشمي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1960 م.

-9خريدة القصر وجريدة العصر ، لعماد الدين محمد بن حامد الاصفهاني الكاتب ، تحقيق د . شكري فيصل ،) المطبعة الهاشمية ، دمشق ،1955 م.

-10ديوان إبن الفارض ، صححه وضبطه ، وعلق عليه ، وقدم له ، د . إبراهيم السامرائي ، د .ط ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ،1985 م .

-11ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تحقيق د. بهجت عبد الغفور الحديثي ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ِ ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، 1980 م.

-12ديوان الشريف المرتضى ، تحقيق رشيد الصفار ، مراجعة د . مصطفى جواد ، تقديم محمد رضا الشبيبي ، ط 1، دار البلاغة ، بيروت ، 1998 م.

-14زهر الآداب وتمر الألباب ، لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحُصري القيرواني ، تحقيق وضبط وشرح علي محمد البجاوي ، ط 2، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

-15سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى ، نازك الملائكة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1993 م.

-16سير أعلام النبلاء وبها مشهِ احكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لشمس الدين الذهبي ، طبعة جديدة ومنقحة ، اعتنى بها محمد بن عبادي بن عبد الحليم ، ط 1، مطبعة دار البيان الحديثة ، 2003 م ، توزيع مكتبة سلام الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب.

-17شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذَهَبْ للمؤرخ الفقيه أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان.

-18شعر إبن القيسراني ، جمع وتحقيق ودراسة ، الدكتور عادل جابر صالح محمد ، ط 1، الوكالة العربية للنشر والتوزيع ، الاردن ، 1991 م.

-19الشعر والشعراء لأَبن قتيبة الدنيوري) ت 276هـ (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ط 3، دار التراث العربي ، القاهرة ، 1977 م.

20صبح الاعشى ، للشيخ أبي العباس القلقشندي ، المطبعة الأميرية ، دار الكتب الخديوية ، القاهرة ، 1913 م.

-21صحيح مسلم للامام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النسيابوري 204) هـ 261 - هـ (، دار الافاق العربية ، القاهرة ، 2005 م.

-22الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة د . أحمد نصيف الجنابي ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1982 م.

-23العبِر في خَبَرْ مِنْ غَبَرْ ، لمؤرخ الاسلام شمس الدين الحافظ الذهبي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة الكويت ،1963 م ، سلسلة التراث العربي ، تصدرها وزارة الارشاد والانباء في الكويت.

24العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق محمد سعيد العريان ، د. ط ، دار الفكر للطباعة ، د.ت ، د.م.

-25قصص الانبياء ، عبد الوهاب النجار ، ط 3، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت.

-26قلائد الجمان في شعراء هذا الزمان ، المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان . كمال الدين ابي البركات المبارك بن الشاعر الموصلي) ت 654 هـ (تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط 1منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2005 م.

-27قيس ولبنى شعر ودراسة وجمع وتحقيق وشرح د .حسين نصّار ، دار مصر للطباعة ، د.ت.

-28اللزوميات اولزوم ما لايلزم ، لأبي العلاء المعري ، قدم لهُ واشرف على اختياره وتصحيحه عمر أبو النصر ، د .ط ، د. م ، 1969 م .

29مجمع الامثال ، للميداني ، حققه وفصله وضبط غرائبهُ وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 2، مطبعة السعادة ، المكتبية التجارية الكبرى ، مصر ، 1959م.

-30مرآة الزمان في تأريخ الاعيان ، تصنيف العلامة شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي الشهير بسبط إبن الجوزي ، ط 1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الركن ، الهند ، 1951 م.

-31معجم الادباء ، لياقوت الحموي ، مراجعة وزارة المعارف العمومية ط – الاخيرة ، مطبوعات دار المأمون ، سلسلة الموسوعات العربية.

-32معجم البلدان ، لشهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) ت 626 هـ (طبعة جديدة ومصححة ومُنقحة ، قدم لها : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، د . ت.

-33مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، تأليف عبد الكريم محمد المُدرس ، عُني بنشره محمد علي القره داغي ، ط. 1

-34النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبن تغري بردي ، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ،1935 م.

-35الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، تحقيق ، واعتناء أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، ط 1، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر ، بيروت لبنان.

-36وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، لأبن خلكان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

-37يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، الثعالبي ، النيسابوري ،) ت 429 هـ (تحقيق وضبط وشرح وتفصيل محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 2، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1956 م.